التعليق على رسالة

أحـاديـث شهـر الله الـمحـرّم

تأليف فضيلة الشيخ العلامة

عبدالله بن صالـح الفـوزان

لفضيلة الشيخ

مبـارك بن خليفـة العســاف

حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أمَّا بعدُ:

فهذا تعليقٌ مُختصَر لرسالة: أحاديث شهر الله المُحرَّم، للعَلَّامة الشيخ عبدالله ابن صالح الفوزان –وفقه الله–، وكان التعليقُ في مسجد العَلَّامة العثيمين بالعيون، في آخر شهر ذي الحجة لعام ١٤٣٩هـ.

وقد أبقيتُ العبارات على أصلِ التفريغ، إلا في مواضعَ عدّلتُ العبارات حتىٰ تكون أوضح في بيانها، وحذفتُ بعض المُكرَّر، وزِدتُ بعض الفوائد.

والله أرجو أن ينفعَ بهذا التعليق الجميع: مُؤلِّف الكتاب، وشارحه، ومُفرِّغه، وكلَّ مَن أعان عليه، وقارئه، وناشره.

وأنْ يجعله عِلمًا نافعًا يبقىٰ أَجْرُه ونفعُه.

ولا نستغني عن توجيهات الفضلاء، ونصائح النُّبلاء.

فالعملُ مُعرَّضٌ للخطأ، وهذه طبيعةُ البشر، واللهُ يعفو عن التقصير والزَّلل.

واللهُ أَعْلم وأَحْكم، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مبارك بن خليفة بن محمد العساف

ظهر الاثنين ٢٥ ذو الحجة ١٤٤٠هـ

التعليـــق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا مزيدًا إلىٰ يوم الدين.

يقول النبي ﷺ: «مَا اجْتَمَع قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِن بُيُوْت الله، يَتْلُون كِتَابَ الله وَيَتَدَارسونه بَيْنهم إِلَّا نَزَلَت عَلَيْهِم السَّكِيْنَةُ وَغَشِيَتهُم الرَّحْمة وَحَفَّتْهم الْمَلَائِكَة، وَذَكَرَهم الله فِيمَنْ عِنْده، وَقِيْل لَهُم فِي خِتَام مَجْلِسِهم: قُوْمُوا مَغْفُوْرًا لَكُم قَدْ بُدِّلَت سَيئاتِكُم حَسَنات، وَهُم الْقَوْم لَا يَشْقَىٰ بِهِم جَلِيْس».

وهذه المجالس هي طريقٌ إلىٰ الجنة؛ قال النبي ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيْقًا يَلْتَمِسُ فِيْه عِلْمًا سَهَّل الله لَهُ طَرِيْقًا إِلَىٰ الْجَنَّة».

فهذه المجالس –يا عباد الله– مجالس عظيمة، تُحَطُّ فيها الخطيئات وتُرْفَع فِيْهَا الدَّرَجات، فنسأل الله عز وجل من فضله وكَرَمه وجُوْدِه وإحسانه أن يَمُنَّ عَلينا وعليكم برفعة الدرجات وحَطِّ الخطيئات، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

في هذه الجلسة المباركة سنتناول رسالةً عظيمةً مباركةً؛ وهي رسالةٌ في أحاديث شهر الله الْمُحرَّم؛ التي أَلَّفها الشيخ العلامة عبد الله بن صالح الفوزان حفظه الله وسَدّده.

وهذه الرسالة مُسْتَلَّةٌ من كتابٍ أَلَّفه –وَفقه الله– بعنوان أحاديث عشر ذي الحجة وأيام التشريق، ويليها رسالة في أحاديث شهر الله المحرم.

فهذه الرسالة مُستلَّة من هذا الكتاب، وهي رسالة مختصرة، ذَكَر فيها بعض الفوائد والأحاديث الواردة في هذا الشهر الْمُحَرَّم.

ومن فضل الله سبحانه وتعالى على عباده: أن تَابَعَ عليهم مواسم الخيرات؛ فقبل أيام كنا في شهر رمضان، ثم بعد ذلك في شهر شوال وفيه صيام الست منه، ثم بعد ذلك جاءتنا العشر من ذي الحجة وما فيها من الفضائل العظيمة، وها نحن في شهر الله الْمُحَرَّم وفيه فضائل عظيمة.

وهذا من فضل الله عز وجل علىٰ عباده أن يُتابع عليهم مواسم الخيرات؛ من أجل أن يجتهدوا في الطاعات والعبادات، وإلا فإن العبد مُطالَبٌ بالعبادات والطاعات في كل أحايينه وفي كل أوقاته؛ لأن هذا العمر هو من أجل الطاعة والعبادة.

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ١-٣].

فالله عز وجل في أكثر من آية في كتابه يُقسِم بالأوقات:

- إما في العموم كما في قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١].

- أو في بعض أوقاته كما في قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢)﴾ [الضحىٰ: ١-٢]، وفي قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)﴾ [الشمس: ١-٤].

إلىٰ غير ذلك من الآيات التي يُقسم الله سبحانه وتعالىٰ فيها بالوقت.

وما أَقسم الله عز وجل بالوقت إلا لعظيم شأنه وكبير قَدْره؛ إذ أنه محل الأعمال الصالحات.

فالمؤمن مُطالَبٌ بالعمل الصالح في كل أوقاته، ولكن يزداد حِرْصه علىٰ العمل الصالح في الأيام المباركات التي فيها النَّص بالحَثِّ في العمل الصالح، ومنها: هذه الأيام التي هي أيام شهر الله الْمُحرَّم، فقد وَرَدَ فيها فضائل ستمر علينا بعد قليل.

أما ما يتعلق بالمُؤلِف حفظه الله وسدده:

فهو الشيخ عبد الله بن صالح الفوزان، وهو من الأساعدة من قبيلة عُتيبة، ولد سنة١٣٦٨هـ وليس هو قريبًا للشيخ العلامة شيخنا الشيخ صالح الفوزان حفظه الله، ولكن التشابه في الأسماء، فقد يلتبس علىٰ بعض الناس أن بينهما قرابة ولكن ليس بينهما قرابة ولكن تجمعهما رَحِم العلم؛ فالعلم رَحِمٌ بين أهله.

والشيخ عبد الله الفوزان حفظه الله من العلماء الأجلّاء والعلماء الأفاضل الذين كَتَب الله سبحانه وتعالىٰ لمؤلفاتهم القبول، فهو صاحب المؤلفات النافعة السيارة التي تَلَقَّاها أهل العلم بالقبول؛ فهي مؤلفات نافعة مباركة، فلا تكاد تقرأ له مؤلفًا إلا وتستفيد منه فوائد عظيمة؛ وهذا فضل الله عز وجل يؤتيه مَنْ يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وانتشار هذه المؤلفات دليلٌ علىٰ حُسن النية؛ لأنه ليس كل مَنْ يؤلف تنتشر مؤلفاته، ولكن هذه بَرَكة العلم وحُسْن النية، وهذا توفيقٌ من الله سبحانه وتعالىٰ.

ومؤلفاته حفظه الله وسدده تجد فيها العلم الغزير والتحقيق الدقيق الذي قد لا تجده في مواضع عند غيره.

وأيضًا تتسم مؤلفاته حفظه الله بأنها يظهر فيها التواضع؛ فتجده وفقه الله ينقل عن أهل العلم المعاصرين، بل وينقل عن أهل العلم الذي هُم أقل منه مكانة ودرجة وسنا، وهذا يدل علىٰ تواضعه وفقه الله وسدده.

وهذه الرسالة رسالةٌ نافعةٌ ينبغي لكل إمام مسجد أو خطيب جمعة أن يَطّلع عليها ويستفيد منها ويُفيد منها الناس؛ لأنها (قال الله، قال رسوله، وبعض الفوائد من كلام أهل العلم)، وستمر علينا بإذن الله سبحانه وتعالىٰ هذه الفوائد التي في هذه الرسالة المباركة.

قال المصنف رحمه الله: **"الاعتبار بمرور الأيام والأعوام"**.

لم يذكر هنا البسملة ولا الحمدلة ولا الصلاة علىٰ النبي ﷺ؛ لأنه كما ذكرنا أن هذه الرسالة مُسْتَلَّة من مَؤَلَّفٍ متكامل؛ فلم يذكر في هذه الرسالة البسملة؛ لأنه اكتفىٰ بالبسملة في أول الكتاب.

"قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦].

وقال تعالىٰ: ﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤].

في هذه الآيات الكريمات يُخبِر الله تعالىٰ عن الآيات الكونية الدالة علىٰ كمال عِلْمِه وَقُدْرته، وتمام حِكمته ورحمته؛ ومن ذلك: اختلاف الليل والنهار وذلك بتعاقبهما، واختلافهما بالطول والقِصَر، والحَرِّ والبرد والتوسط، وما في ذلك من المصالح العظيمة لكل ما علىٰ الأرض.

وكل ذلك من نِعَم الله تعالىٰ ورحمته بِخَلْقه؛ الذي لا يُدركه إلا أصحاب العقول السليمة والبصائر النَّيِّرة، الذين يُدركون حِكمة الله تعالىٰ في خَلْق الليل والنهار والشمس والقمر، وَيُدركون ما في تَعَاقُب الشهور والأعوام وتوالي الليالي والأيام.

والله تعالىٰ جعل الليل والنهار خزائن للأعمال، ومراحل للآجال، إذا ذَهَب أحدهما خَلَفَه الآخر؛ لإنهاض هِمَم العاملين إلىٰ الخيرات، وتنشيطهم علىٰ الطاعات، فَمَنْ فاته الوِرْد بالليل استدركه بالنهار، ومَنْ فَاتَه بالنهار استدركه بالليل.

قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

وينبغي للمؤمن أن يأخذ العبرة من مرور الليالي والأيام؛ فإن الليل والنهار يُبْليان كل جديد، وَيُقَرِّبان كل بعيد، ويَطْويان الأعمار، ويُشيِّبان الصِّغار، ويَفْنِيان الكبار، وكل يوم يَمُرّ بالإنسان فإنه يُبْعِده من الدنيا ويُقَرِّبه من الآخرة".

"الاعتبار بمرور الأيام والأعوام":

مرور الأيام والأعوام والدقائق واللحظات والثواني؛ كل ذلك من النُّذُر التي ينبغي علىٰ العبد أن يعتبر بها؛ وذلك لأن مرور الأيام والساعات واللحظات والدقائق كلها تُقَرِّبك من أَجَلك المحتوم وقَدَرك المعلوم الذي لا مَفَرَّ منه ولا محيد.

فلا ينبغي للمرء أن لا ينظر في مرور الأيام عليه؛ فكل دقيقةٍ تُقَرِّبك إلىٰ أَجَلك، وكل ثانيةٍ تُقَرِّبك إلىٰ أَجَلك، فكيف إذا مَرَّت هذه اللحظات وهذه الأيام بسرعةٍ عظيمة ألا تَوْجَل من ذلك القلوب؟!

الذي لا يخاف من مرور الأيام ولا يتعظ من مرورها فهذا لا قلب له، فليبحث له عن قلبٍ آخر.

فمرور الأيام نذير، والإنسان يتعظ ويعتبر بهذه النُّذُر، فالأيام تَمُرُّ سريعًا.

تَمُرُّ بِنَا الْأَيَّامُ تَتْرَىٰ وَإِنَّمَا   نُسَاقُ إِلَىٰ الْآجَالِ وَالْعَيْنُ تَنْظُرُ
فَلَا عَائِدٌ ذَاكَ الشَّبَابُ الَّذِي مَضَىٰ   وَلا زَائِلٌ هَذَا الْمَشِيْبُ الْمُكَدِّرُ

فالإنسان يتعظ بمرور الأيام؛ فيعمل الصالحات ويستغل الأوقات؛ حتىٰ لا تضيع عليه الأوقات هباءً منثورًا؛ فَيَوَدّ يوم القيامة أنه لم يُضِع ساعةً ولا دقيقةً ولا ثانية، ويَودُّ أن يعود إلىٰ هذه الدنيا فيقول تسبيحة أو تهليلة أو تحميدة يُثَقِّل بها الميزان.

فالمرء لا بد أن يعتبر ويتعظ بمرور هذه الأيام؛ فهي من أعظم النُّذُر التي تَمُرّ علىٰ القلوب.

والقلوب علىٰ قسمين:

- قلوبٌ سليمة.
- وقلوبٌ مريضة.

فالقلوب السليمة تتعظ وتعتبر وتنزجر وتعود وتُنيب إلىٰ ربها سبحانه وتعالىٰ.

وأما القلوب المريضة: فلو تطابقت السماء علىٰ الأرض أمام أعينهم فإنهم لا يعتبرون بذلك!

فالمؤمن يعتبر بمرور الأيام والأعوام؛ لأن هذا نذيرٌ بقُرْب أَجَله ورحيله من الدنيا، وما أقرب الساعة! وما أقرب القيامة! قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

فالساعة أقرب إلىٰ أحدنا من شِراك نَعْله؛ لأن الإنسان إذا مات قامت قيامته؛ فالساعة قريبةٌ مني ومنك، فاستعد لتلك اللحظات.

ولذلك؛ عندما جاء رجلٌ يسأل النبي ﷺ: (متىٰ الساعة؟) أَعْرَضَ عنه النبي ﷺ، ثم أجابه فقال له: «وَمَاذَا أَعْتَدتَ لَهَا؟» فهذا هو الشأن: ماذا أعتدت للساعة؟ وإلا فإن الساعة قريبة، كما قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] فالساعة قريبة، ولكن لا نعلم متىٰ تقوم، والساعة أقرب إلينا من شراك نَعلنا.

وذَمَّ الله عز وجل مَنْ تَمُرُّ عليه الليالي والأيام وهو غافلٌ عن ذلك، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢)﴾ [الأنبياء: ١-٢].

فهذا هو شأن المعرضين عن دين الله عز وجل؛ الذين تأتيهم الأيام وتَمُرُّ عليهم الساعات ولا يتعظون ولا يعتبرون.

فلا ينبغي للمؤمن أن يَتَشَبَّه بالمعرضين عن دين الله عز وجل ولا يعتبر بمرور الأيام والساعات؛ فالاعتبار بمرور الأيام والأعوام من شأن المؤمنين الذين رُزقوا القلوب السليمة التي تعتبر بالنُّذُر فترجع إلىٰ ربها سبحانه وتعالىٰ وتعمل الأعمال الصالحات والطاعات والقُربات.

"وينبغي للمؤمن" كما قال المصنف وفقه الله: "أن يأخذ العبرة من مرور الأيام والليالي؛ فإن الليل والنهار يُبْليان كل جديد، وَيُقَرِّبان كل بعيد، ويَطْويان الأعمار، ويُشيِّبان الصِّغار، ويَفْنِيان الكبار، وكل يوم يَمُرّ بالإنسان فإنه يُبْعِده من الدنيا ويُقَرِّبه من الآخرة".

نسأل الله عز وجل أن يجعل خير أيامنا يوم أن نلقاه، وأن يُبارك لنا في أعمالنا وأن يُحسِن لنا وللجميع الختام؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

"فالسعيد -والله- مَنْ حَاسَبَ نفسه، وَتَفَكَّر في انقضاء عُمره، واستفاد من وقته فيما ينفعه في دينه ودنياه.

ومَنْ غَفَل عن نفسه تصرَّمت أوقاته، وعَظُمَ فَوَاته، واشتدت حَسَراته، نعوذ بالله من التفريط والتسويف.

ونحن في هذه الأيام نُودِّع عامًا ماضيًا شهيدًا، ونستقبل عامًا مُقبلًا جديدًا؛ فعلينا أن نُحاسب أنفسنا؛ فَمَنْ كان مُفَرِّطًا في شيءٍ من الواجبات فَعَلَيْه أن يتوب ويَتَدارك ما فات، وإن كان ظالِمًا لنفسه بارتكاب ما نَهىٰ الله ورسوله عنه فعليه أن يُقْلِع قبل حلول الأجل، ومَنْ منَّ الله عليه بالاستقامة فَلْيَحمد الله علىٰ ذلك وليسأله الثبات إلىٰ الممات.

وليست هذه المحاسبة مقصورةٌ علىٰ هذه الأيام، بل هي مطلوبةٌ كل وقت وأوان؛ فَمَنْ لازَمَ محاسبة النفس استقامت أحواله وصَلُحت أعماله، وَمَنْ غَفَلَ عن ذلك ساءت أحواله وفسدت أعماله.

ومما يُؤسَف عليه: أن كثيرًا من الناس إذا بدأ العام يَعِدُ نفسه بالجِدِّ والعزيمة الصادقة لإصلاح حاله ثم يمضي عليه اليوم بعد الأيام والشهر بعد الشهور وينقضي العام وحاله لم يتغير؛ فلم يَزْدَد من الخيرات ولم يَتُب من السيئات؛ وهذه علامة الخيبة والخسران.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أعمارنا آخرها، وخير أيامنا يوم لقائك، اللهم أعزَّ المسلمين بطاعتك، ولا تذلهم بمعصيتك، اللهم اجعل عامنا هذا وما بعده عام أَمْنٍ وعِزٍّ ونَصْرٍ للإسلام والمسلمين، وأَسْبِغ علينا نعمك، وارزقنا شُكْرها، وصلّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

الحث على قِصَرِ الأمل في الدنيا

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أَخَذَ رسول الله ﷺ بمنكبيَّ فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (إِذَا أَمْسَيْتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وَخُذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك) أخرجه البخاري.

الحديث دليلٌ علىٰ وجوب اغتنام الأوقات، وَالْحَثِّ علىٰ قِصَرِ الأمل، وتقديم التوبة والاستعداد للموت.

وهذا الحديث من أَبْلَغِ الكلام في التَّذْكير بالآخرة وعدم الاغترار بالدنيا؛ وذلك أن الدنيا فانيةٌ مهما طال عمر الإنسان فيها؛ فهي دار مَمَرٍّ لا دار مَقَر، وكل نفسٍ ذائقة الموت، وهذه حقيقةٌ مُشاهَدةٌ، نراها كلَّ يومٍ وليلةٍ، ونحس بها كلَّ ساعةٍ ولحظةٍ.

وإذا كان الإنسان لا يدري متىٰ ينتهي أَجَله ويأتيه الموت فَعَليه أن يستعد للرحيل وأن يكون عابر سبيل؛ فَلا يَرْكن إلىٰ الدنيا ولا يتعلق بها ولا يتخذها وطنًا ولا تُحَدِّثه نفسه بالبقاء فيها؛ فلا يتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه

الذي سيُفارقه مهما تكن راحته وهناؤه، وأن يكون فيها كالمسافر الذي يكتفي بِسَفره بالقليل الذي يساعده علىٰ بلوغ غايته وتحقيق مَقصده.

ولقد أدرك الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما موعظة رسول الله ﷺ إدراكًا علميًا وعمليًا، **وأخذ منه هذه الوصايا الثلاث العظيمة:**

الأولى: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء).

ومعنى ذلك: حَثُّ المؤمن علىٰ قِصَرِ الأمل في هذه الحياة، وأنه ينبغي له إذا أمسىٰ لا ينتظر الصباح، وإذا أصبح لا ينتظر المساء، بل يظن أن أَجَلَه مُدْركه قبل ذلك.

الوصية الثانية: (وَخُذ من صحتك لمرضك).

والمعنى: أنه ينبغي للمؤمن أن يغتنم أوقات الصحة وسلامة البدن من العلل؛ وذلك بِفِعْل الخير والإكثار من الطاعات قبل أن يحول بينه وبينها السُّقْمُ؛ فيعجز عن الصيام والقيام وسائر الأعمال إذا اعتراه مرض أو عِلَّةٌ أو كِبَرٌ.

الوصية الثالثة: (ومن حياتك لموتك).

والمعنى: أنه ينبغي للمؤمن أن يغتنم زمن الحياة وساعات العمر بتقديم الزاد، ولا يُفَرِّط حتىٰ يُدركه الموت ويحول بينه وبين الأعمال الصالحة.

وقد وَرَدَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُوْنٌ فِيهِمَا كَثِيْرٌ مِن النَّاسِ: الصِّحَةُ وَالْفَرَاغ» أخرجه البخاري.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «اغْتَنِم خَمْسًا قَبْلَ خَمْس: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِك، وَصِحَّتِك قَبْلَ سَقَمِك، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِك، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِك» أخرجه الحاكم وصححه.

فالواجب علينا ونحن نستقبل عامًا جديدًا: أن نغتنم الأوقات ونُبادر بالأعمال الصالحة قبل أن يُحال بيننا وبينها إِمَّا بِشُغْلٍ أو مرضٍ أو موت.

اللهم أَيْقِظْنا لِتَدَارُك بقايا الأعمار، وَوَفقنا للتَّزَوُّد من الخير والاستكثار، اللهم أَيْقِظ قلوبنا من رَقَدات الآمال، وَذَكِّرنا قُرْبَ الرحيل وَدُنُوَّ الآجال، وثَبِّت قلوبنا علىٰ الإيمان، ووفقنا لصالح الأعمال، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصَلَّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد".

ما ضَرَّ الإنسان أكثر من طول الأمل؛ فطُول الأمل هو الذي يجعل المرء يُسَوِّف العمل ويُبعده عن الله سبحانه وتعالىٰ فيغترّ بهذه الدنيا ويَتَّبِع لَذَّاتها ويغفل عن الآخرة ونعيمها.

ولذلك حَذَّرنا الله عز وجل في أكثر من آيةٍ في كتابه من الاغترار بهذه الحياة الدنيا؛ فقال عَزَّ ذِكره: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

والغرور: هو الشيطان.

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

فالحياة مهما طالت فهي قصيرة، والعمر مهما طال فإنه لا بد أن ينقضي.

فالحياة جديدها يبلىٰ، وحَسَنُها يفنىٰ؛ ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ: (لَقد فَضَح الموت الدنيا؛ فلم يترك لِذِي لُبٍّ لُبًّا.) قضىٰ علىٰ نعيمها، وأَبلىٰ جديدها)؛ وهذه أكبر فضيحةٍ لهذه الحياة الدنيا: أنها متاع الغرور.

فعلى المسلم أن لا يغترَّ بهذه الحياة الدنيا، وأن يعيش في هذه الحياة الدنيا كما قال رسول الله ﷺ: "«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»".

والغريب وعابر السبيل لا يأخذ من الزاد إلا ما يكفيه؛ لأنه لا يريد أن يُثقِل عليه في سَيْره؛ فلذلك كُن أنت في الدنيا كذلك؛ لا تأخذ من الدنيا إلا ما يكفيك ويُعينك علىٰ طاعة الله عز وجل؛ فلا تنظر إليها نَظَر الراغب فيها، ولا تنظر إليها نَظَر الْمُحِبّ لها، بل انظر إلىٰ هذه الحياة الدنيا نَظَر المتزود فيها من الطاعة والْمُتَقَرِّب فيها إلىٰ الله عز وجل بأنواع العبادة.

لأن الإنسان إذا انقطع أَجَله ورَحَل عن هذه الحياة الدنيا لم تُفده هذه الحياة الدنيا بمتاعها وزُخرفها.

الحياة كما قال النبي ﷺ: «حُلْوَةٌ خَضِرَة»؛ حُلوة تتزين للناس، خَضِرة لبهائها، ولكن هذه الحلاوة وهذه الخُضرة منتهيةٌ ومنقطعة؛ ولذلك قال بعد ذلك: «وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

وإنما النعيم المقيم والفوز الكبير: أن نفوز بالنعيم المقيم، وأن نفوز برؤية الرب الكريم، في جنات النعيم؛ فهذا هو الفوز الحقيقي، وهذا هو النعيم الأبدي السرمدي الذي يسعىٰ العاقل إلىٰ تحصيله، ويُعرِض عن ما سواه.

ولذلك قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]؛ **فالأصل في هذه الحياة**: أن تبتغي بها الدار الآخرة، ومع ذلك: لا تنسَ النصيب من الدنيا؛ فَجَعل الدنيا تابعة.

ولكن كثيرٌ من الناس انشغلوا في هذه الحياة الدنيا عن الآخرة حتىٰ يُقال لهم: (لا تَنْسَ نصيبك من الآخرة)! فهؤلاء عكسوا ما أَمَر الله سبحانه وتعالىٰ به.

فهذه الدنيا ينبغي للمؤمن أن لا ينظر إليها نَظَر الْمُتلهَف إليها والشغوف لها والْمُحِب للبقاء فيها؛ فهي دارٌ طُبعت علىٰ نكد وعلىٰ كَدَر، ولكنَّ الراحة التامة والسعادة والإقامة الدائمة في جنات النعيم -نسأل الله من فضله-؛ ولذلك قال النبي ﷺ: "«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيْل»".

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول -وهو راوي هذا الحديث-: "(إِذَا أَمْسَيْتَ فلا تنتظر الصباح)"؛ ما يدري الإنسان متىٰ يحين عليه الأَجَل، ما أحد منا يضمن أن يعيش ثانية أو دقيقة أو لحظة، الإنسان ما يعلم متىٰ يحين عليه أَجَله.

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] لا تعلم متىٰ تموت وكيف تموت وأين تموت، ما تعلم؛ فإذا كنت لا تعلم فاستعد.

"(إِذَا أَمْسَيْتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء)"؛ لأنك قد تُقبَض قبل أن تحقق ما تتمنىٰ؛ إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح.

"(وَخُذ من صحتك لمرضك)" استغل الأوقات، "(ومن حياتك لموتك)"، **استغل هذه الأوقات التي أعطاك الله إياها**؛ الصحة تاجٌ علىٰ رؤوس الأصحاء لا يراها إلا مَنْ فَقَدها؛ فاستكثِر من الطاعة في وقت صحتك، استكثِر من

الأعمال الصالحة فيها؛ لأنك إذا مرضتَ فإن الله عز وجل بفضله وكَرَمه يكتب لك ما كنت تعمل وأنت صحيحٌ مُعافىٰ.

فإذا أكثرت من قيام الليل، ومن الصيام، ومن الصدقة وغير ذلك من الأعمال، ثم فَجأك المرض فلم تَعُد تستطيع أن تعمل كما كنت تعمل في حال الصحة فإن الله يُجرِي عليك العمل، ويكتب لك الأجر كأنك صحيحٌ مُعافىٰ، وهذا فضل الله علىٰ عباده.

فلا ينبغي للمرء أن يُفَرِّط في وقت صحته؛ ولذلك يقول النبي ﷺ: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيْمًا»! الله أكبر! كيف تغفل عن هذه اللحظات؟! كيف تغفل عن هذه النعمة التي يعطيك إياها وفَقَدها غيرك؟!

كم من رجلٍ يريد أن يسجد لله سجدة علىٰ الأرض ولا يستطيع ذلك؟! كم من رجلٍ يريد أن يصوم يومًا لله عز وجل ولا يستطيع ذلك؟! كم من رجلٍ يريد أن يتصدق ولو بدرهم ولا يستطيع ذلك؟!

فأنت إذا أنعم الله عليك بأنواعٍ من النِّعَم فَاسْتَعْمِلها في طاعة الله سبحانه وتعالىٰ.

فهذا الحديث دليلٌ علىٰ وجوب اغتنام الأوقات والحَثّ علىٰ قِصَر الأمل؛ لأن الأمل إذا سِرْت خلفه سَوَّف عليك العمل وسَوَّف عليك التوبة.

وما معنى (إطالة الأمل)؟

أنك تظن أنك ستعيش في هذه الدنيا أمدًا بعيدًا؛ فإذا أردت أن تعمل عملًا صالحًا جاءك الشيطان وغَرَّك: (لا زلت صغيرًا، لا زلت شابًّا، لا زلت مُعافىٰ، لا زلت صحيحًا، أَجِّل هذا العمل الصالح إلىٰ اليوم الفلاني إلىٰ بعد ذلك) حتىٰ يفجأك الموت وأنت لم تعمل الأعمال الصالحات! فتندم علىٰ ذلك.

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
وَلَاقَيْتَ يَوْمَ الْعَرْضِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدا
نَدِمْتَ عَلَىٰ أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ
وَأَنَّكَ لَمْ تَرْصِدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا

فاللهَ الله في العمل الصالح، واستدراك الأوقات، والعمل بالصالحات؛ حتىٰ تلقىٰ الله عز وجل علىٰ العمل الذي تريد أن تُقابل الله سبحانه وتعالىٰ عليه.

قال النبي ﷺ: "«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَةُ وَالْفَرَاغ»" فمَنْ رُزِق هاتين النعمتين فعليه أن يستغلهما في طاعة الله (الصحة والفراغ)؛ الصحة: وقتٌ عظيم عليك أن تستغله في طاعة الله، والفراغ: نعمةٌ عظيمة عليك أن تستغلها في طاعة الله.

والفراغ إذا لم تستغله في طاعة الله عز وجل فإنك -ولا بد- إما أن تصرفه في مُباحٍ لا ينفعك، وإما في معصيةٍ تضرك.

هذا هو الفراغ:

- إما أن تستعمله في طاعة الله فيُقَرِّبك إلىٰ الله.
- وإما أن تستعمله في مُباحٍ لا ينفعك.
- وإما أن تستعمله في معصيةٍ تضرك.

فاستغل هاتين النعمتين: (الصحة، والفراغ).

ولذلك قال النبي ﷺ وهو يَعِظ رجلًا -وَأَنْعِم بها من موعظة، وأَكْرِم بها من تَذْكِرة-: "«اغْتَنِمْ خَمْسًا»": ما معنىٰ "«اغْتَنِمْ»"؟

الغنيمة: يعني الفوز.

اغتنم، هذه غنيمة.

"«اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْس: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِك، وَصِحَّتِك قَبْلَ سَقَمِك، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْل شُغْلِك، وَحَيَاتَكَ قَبْل مَوْتِك»".

إذا لم تكن شابًّا ولم تكن صحيحًا ولم تكن غَنِيًّا ولم تكن فارغًا فأنت لا زلت حَيًّا، والحياة تستطيع أن تُودع فيها الأعمال الصالحات وإن كنت علىٰ فراش الموت؛ بتسبيحة، بتهليلة، بدعاء، بقراءة القرآن، بالتفكر بقلبك، الأعمال الصالحة لا تتوقف علىٰ أركان والجوارح واللسان، بل حتىٰ بالقلب.

فالإنسان يستطيع أن يجعل عُمره عبادة وطاعة حتىٰ وإن كان في أحلك ظروفه.

فعلىٰ الإنسان أن يستغل هذه الخمس وأن يغتنمها قبل أن يأتيه ضدها فيندم، ولا تَ حِين مَنْدم.

فـ "اللهم أَيْقِظنْا لِتَدَارُك بقايا الأعمار، وَوَفقنا للتَّزَوُّد من الخير والاستكثار، اللهم أَيْقِظ قلوبنا من رَقَدات الآمال، وَذَكِّرنا قُرْبَ الرحيل وَدُنُوَّ الآجال" لأن العبد إذا تَذَكَّر دُنُوّ الأجل والموت فإنه ولا بد أن يُحسِن العمل، وإذا غَفَلَ عن الموت فإنه سيجري في هذه الدنيا كجَرْي البهائم أَكْلٌ وعَيْشٌ وبُعْدٌ عن طاعة الله عز وجل.

ولذلك النبي ﷺ أوصانا فقال: «أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْر هَاذِم اللَّذَّات» وهو الموت، وما وصىٰ بذلك النبي ﷺ إلا من أجل مصلحتنا؛ لأننا إذا تذكرنا هذا الموت أقبلنا علىٰ الله، وانزجرت النفوس عن المعاصي والذنوب، وإذا أذنبت وَعصت عادت إلىٰ ربها وخضعت له؛ فهذا من أعظم فوائد الإكثار من ذِكْر هاذم اللذات.

فنسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم وأن يُسددنا وأن يجعل أعمالنا في رضاه، وأن يقبضنا علىٰ طاعته ورضوانه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

"فضل شهر الله المحرم".

"فضل شهر الله المحرم": شهر الله الْمُحرم له فضيلة.

أولًا: هو من الأشهر الحُرُم، وهو آخر الأشهر الحُرم السَّرد.

قال النبي ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ سَرْدٌ؛ وَهِي: ذُو القَعْدة، وذُو الحِجَّة، وشَهْر الله الْمُحرَّم**» هذه السَّرد، «**وَواحِد فَرد: وهو رَجب**».

وسُميت الأشهر الحُرم بـ (الأشهر الحُرم): لأنه حُرِّم فيها القتال.

وقد اختلف العلماء رحمهم الله: هل نُسِخ هذا الحُكم (يعني تحريم القتال في الأشهر الحُرم) أو لم يُنسخ؟

على قولين مشهورين:

- فذهب جمهور أهل العلم إلىٰ أنه نُسخ، يعني النهي عن القتال في الأشهر الحُرم.

- وذهب بعض أهل العلم –وهو ترجيح الشيخ ابن باز رحمة الله عليه– أنها لم تُنسَخ.

فالأشهر الحُرم لا يجوز القتال فيها، ولكن إذا اعتُدي علينا فيها فإننا ندافع عن أنفسنا، ولكننا لا نبتدئ القتال في الأشهر الحُرم.

وهذا هو الجمع بين النَّهي الذي وَرد وبين ما وَرَدَ في القتال في الأشهر الحُرم.

فالنهي باقٍ علىٰ أصله، وأما القتال الذي وَرَد في الأشهر الحُرم: فهو قتال الدفع لا قتال الطلب.

وأيضًا هنا فائدة وهي الفضل الثاني: أن شهر الله الْمُحرَّم الأفضل أن يُذْكر مُعَرَّفًا؛ فلا يقال: (شهر مُحرَّم)، وإنما يقال: (شهر الله الْمُحرَّم، أو الشهر الْمُحرَّم، أو الشهر الحرام) فيُذْكَر مُعرَّفًا كما ذُكِر في الكتاب والسُّنة؛ لأن الله عز وجل عَظَّمه.

فمن فَضله: أن الله عز وجل نَسَبه إلىٰ نفسه، ولم ينسب ذلك إلىٰ بقية الشهور، فقال: (شهر الله الْمُحرَّم).

وهذه النسبة نسبة تشريفٍ وتعظيمٍ لهذا الشهر الفضيل.

ثالثًا: أنه الصيام فيه أفضل من الصيام في غيره، وسيمر علينا.

رابعًا: فيه صيام يوم يكفر سنة كاملة، وسيمر الكلام عليه.

"عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضلُ الصيام بعد رمضان شهرُ الله المحرم، وأفضلُ الصلاة بعد الفريضة صلاةُ الليل».

وفي رواية: «الصلاة في جوف الليل» أخرجه مسلم".

وشهر الله الْمُحرَّم لا شك أنه مُعَظَّم، والعشر الأُوَل منه هي أشدُّ تعظيمًا.

ولذلك كان السلف رحمهم الله يُعظِّمون ثلاث عشرات:

- العَشْر الأُوَل من شهر الله الْمُحَرَّم.
- والعَشْر الأواخر من رمضان.
- وعَشْر ذي الحجة.

فهذه الثلاث العشرات كانوا يُعَظِّمونها؛ لِمَا فيها من الفضائل العظيمة.

وقد جاء ذلك مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ، ولكنه لا يصح عن النبي ﷺ، ولكن ثَبَتَ ذلك عن السلف رحمهم الله تعالىٰ.

"الحديث دليلٌ علىٰ فضل صيام شهر الله المحرم، وأن صيامه يلي فضل شهر رمضان في الأفضلية.

وفضل الصيام فيه جاء من فضل أوقاته وتعظيم الأجر فيه؛ لأن الصيام من أفضل الأعمال عند الله تعالىٰ".

فشَهْر الله الْمُحَرَّم هو أفضل الصيام بعد شهر رمضان؛ **أفضل الصيام بعد شهر رمضان:** الصيام في شهر الله الْمُحرَّم.

وحديث النبي ﷺ: "«أفضلُ الصيام بعد رمضان: شهرُ الله المحرم»" هل معنىٰ ذلك: أن يُصام الشهر كاملًا، أو يُصام أكثره ويكون هذا الحديث معناه الترغيب في الإكثار؟

يحتمل هذا وهذا، والأظهر -والله أعلم-: أنه إذا صام الإنسان شهر الله الْمُحرَّم كاملًا فإنه وَافَق السُّنة؛ لعموم حديث النبي ﷺ.

فإن لم يستطع أن يصوم هذا الشهر كاملًا فلْيَصُم أكثره، فإن لم يستطع فَلْيَصُم منه كل اثنين وخميس، فإن لم يستطع فَلْيَصُم ثلاثة أيام منه، علىٰ قَدْر استطاعته فَلْيَصُم في هذا الشهر، ولا يَمُرّ عليه هذا الشهر كبقية الشهور لا يصوم فيها.

فعليه أن يُكثِر من الصيام؛ لأنه شهرٌ تَعظُم فيه الأجور؛ لأن النبي ﷺ رَغَّب في الصيام فيه، فلو لم يكن فيه فضلٌ زائدٌ علىٰ بقية الصيام في بقية الشهور لَمَا رَغَّب فيه النبي ﷺ.

فأفضل الصيام بعد رمضان: شهر الله الْمُحرَّم.

"وشهر الله الْمُحَرَّم: هو الشهر الذي تبدأ به السنة الهجرية؛ كما تمَّ الاتفاق علىٰ ذلك في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وهو أحد الأشهر الْحُرُم التي ذَكَر الله تعالىٰ في كتابه".

السنة الهجرية أُرِّخَت في عهد عمر رضي الله عنه؛ فلم يكن في عهد النبي ﷺ هذا التحديد (أن مُحرَّم هو واحد، وصَفَر هو الثاني.. إلىٰ آخره)، وإنما أَرَّخ ذلك: عُمر باستشارة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين؛ من أجل مخالفة الكفار الذين يعتمدون علىٰ التأريخ الميلادي.

وهذا التأريخ الميلادي لا أصل له، ولا دِقّة فيه من حيث ابتدائه.

فعُمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد مخالفتهم وتمييز المسلمين عنهم فسَنَّ هذه السُّنة، وله سُنَّةٌ مُتَّبعة؛ فهو من الأئمة الخلفاء الراشدين الذين قال فيهم النبي ﷺ: «عَلَيْكُم بِسُنَّتِي وسُنَّة الْخُلَفَاء الرَّاشِدِيْن الْمَهْدِيين مِنْ بَعْدي»؛ فهو خليفةٌ راشد له سُنَّةٌ مُتَّبعة؛ فهو الذي سَنَّ السَّنة الهجرية من أجل مخالفة المشركين.

فلا يجوز للمرء أن يعدل عن هذه السُّنة إلىٰ سُنَّة الكافرين فيعتمد علىٰ التأريخ الميلادي؛ لأن هذا نوعٌ من التَّشَبُّه بالكفار، وقد نُهينا عن التَّشَبُّه بهم، وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهم».

فلا يجوز لنا أن نعتمد على التأريخ الميلادي؛ بل يجب علينا وجوبًا أن نعتمد علىٰ التاريخ الهجري، ولكن كثيرٌ من الناس اليوم من المسلمين ابتعدوا عن هذه السُّنة وانحازوا إلىٰ السُّنة التي سَنَّها الكفار! فتجدهم لا يكتبون إلا التأريخ الميلادي، ولا يعرفون التاريخ الهجري إلا إذا دَخَل رمضان! فَتَمرّ عليهم الشهور لا يعلمون في أي شهرٍ هجري هُم!! والله المستعان.

والأشهر الهجرية هي التي عليها الأحكام الشرعية، وهي السَّنة القمرية؛ لأن الله عز وجل جَعَل الأحكام الشرعية عليها؛ في الطلاق، والعِدَّة، ودخول الشهور، وخروج الشهور، والعبادات، والطاعات كلها مبنية علىٰ الأشهر القمرية.

فكيف يعدل المرء عنها، ولا يعلم عنها إلا إذا دَخَل رمضان؟! سمع أن الناس قالوا: (غدًا رمضان)! لأنه لا يعلم إلا (إبريل، وأكتوبر، وديسمبر)، لا يعلم (لا ربيع، ولا ربيع الثاني، ولا جمادىٰ) ولا يعلم الشهور الإسلامية!!

وهذا لا شكٌّ أنه انحياز إلىٰ سُنَّة الكافرين، وإعراضٌ عن سُنَّة المسلمين؛ فلا يجوز هذا العمل، بل يجب علينا أن نقتدي بالخليفة الراشد عمر بن الخطاب وما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم.

وحَدَث هذا التأريخ في السنة السابعة عشرة للهجرة، حدثت هذه السُّنة العُمرية.

وقد أَرَّخوها بـ (الهجرة) تعظيمًا لهجرة النبي ﷺ؛ لأن الهجرة النبوية ظَهَر بها الإسلام وعَلا وارتفع وقَويت شوكته؛ فَأَرَّخُوا بها.

"وهو أحد الأشهر الْحُرُم التي ذَكَر الله تعالىٰ في كتابه فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

وعن أبي بَكْرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «السَّنَة اثْنَا عَشر شَهْرًا؛ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُم؛ ثَلَاثة مُتَوَالِيَة: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُوْ الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّم، وَرَجَبُ مُضَرَ الذي بين جمادىٰ وَشَعْبان» مُتَّفق عليه".

والأشهر الحُرم كما قال الله سبحانه وتعالىٰ: "﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]": **الضمير في هذه الآية هل يعود إلى الشهور كلها، أو يعود إلى الأشهر الحُرُم؟**

علىٰ قولين عند أهل التفسير.

والأظهر -والله أعلم-: أن هذا الضمير عائدٌ إلىٰ الأشهر الحُرم، "﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]": أي الأشهر الحُرم؛ لعظيم حُرمتها؛ لأن الذنب في الأشهر الحُرم أعظم من الذنب في غيره.

وتعظيم الذّنب في الأشهر الحُرم ليس من حيث الكَمّ، ولكن من حيث الكيف.

فـ (الكَمّ): يعني بالعدد؛ ليست السيئة بسيئتين وثلاث وأربع، لا، ولكن أعظم؛ يعني من حيث الوِزر ومن حيث العقوبة؛ فهي أعظم من الذنب الذي يكون في غيره.

لماذا لم نَقُل: أنها بـ (الكَمّ)، يعني السيئة بسيئتين وبثلاث؟

لأن الله عز وجل لا يظلم الناس شيئًا؛ فمن عَدْل الله عز وجل أنه يُجازِي العبد السيئة بالسيئة، يعني السيئة بسيئةٍ واحدة، ولا يَزِد ذلك عليه؛ عدلًا منه سبحانه وتعالىٰ.

ولكن هذه السيئة تَعْظُم؛ فأنت مثلًا: تكون عندك هذه الحجارة كبيرة وهذه حجارةٌ صغيرةٌ وكلها من الحجارة، ولكن حجمها يكون بأخذك لها.

فالمراد بـ (الذنب): عَظَمَته، وليس ازدياده؛ لأن الازدياد ليس داخلًا في العدل، والله عز وجل عَدْلٌ في حُكمه علىٰ عباده، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]؛ فلا تتضاعف السيئات كَمًّا ولكن تتضاعف كيفًا من حيث عَظَمتها.

فالإنسان يحرص أن لا يظلم نفسه خاصةً في هذه الأشهر الحُرم؛ لأن الذنب يَعْظُم فيها.

"وقد أضاف الله تعالىٰ هذا الشهر إليه تشريفًا وتعظيمًا؛ لأن الله تبارك وتعالىٰ لا يضيف من الأشياء إليه إلا خواصُها كـ (بَيت الله، ورسول الله، ونحو ذلك).

وسُمِّي مُحَرَّمًا تأكيدًا لتحريمه؛ لأن العرب كانت تتقلب فيه فَتُحِلُّه عَامًا وتُحَرِّمُه عامًا.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] أي في هذه الأشهر الْمُحرَّمة؛ لأنها آكَد وأبلغ في الإثم من غيرها.

قال قتادة: (إن الظلم في الأشهر الْحُرم أعظم خطيئةً ووِزرًا من الظلم فيما سواها وإن كان الظلم علىٰ كل حالٍ عظيمًا، ولكن الله يُعَظِّمُ من أمره ما يشاء)".

قال: "(عظيمًا)" يعني يَعْظُم، أعظم خطيئةً من حيث الكيف لا من حيث الكَمّ.

"وقد جعل الله هذه الشهور الهلالية مواقيت للناس؛ لأنها علاماتٌ محسوسةٌ يَعْرف كل أَحدٍ بدايتها ونهايتها.

وَمِمَّا يُؤْسَف عليه: أن كثيرًا من المسلمين تركوا التاريخ الهجري، وأخذوا بتاريخ النَّصارىٰ الميلادي الْمَبني علىٰ أشهرٍ وَهْميةٍ غير مبنية علىٰ مشروع ولا معقول ولا محسوس! وهذا دليل الضعف والانهزامية والتَّبَعية لغير المسلمين.

ومن مفاسده: رَبْط المسلمين وناشئتهم بتاريخ النصارىٰ، وإبعادهم عن تاريخهم الهجري الذي ارتبط برسولهم ﷺ وبشعائر دينهم وعبادتهم، فالله المستعان".

وهو من وسائل التغريب التي دخلت علىٰ المسلمين، ما نشر التاريخ الميلادي بين المسلمين وجعلهم يُعرِضون عن التاريخ الهجري إلا أهل التغريب -لا كَثَّرهم الله-.

"وقد دَلَّ الحديث على أن أفضل ما يُتَطَوَّع به من الصيام بعد رمضان: صَوْم شهر الله الْمُحَرَّم.

والظاهر: أن هذا محمول علىٰ أنه أفضل شهر يُتَطَوَّع بِصيامه بعد رمضان.

أما التطوع بصيام بعض الأيام منه: فقد يكون بعض الأيام أفضل من أيامه كـ(يوم عرفة، وستة أيام من شوال)".

هنا مسألة التفضيل بين صيام شهر الْمُحرَّم وبين -مثلًا- صيام عرفة، ومثلًا: صيام ست من شوال: **هل نقول: صيام الْمُحرَّم أفضل من صيام عرفة؟**

نقول: في الأيام قد نقول: إن بعض الأيام أفضل من بعض أيام شهر الله الْمُحرَّم، كـ(عرفة) أفضل من (عاشوراء)؛ لأنه يُكَفِّر سنتين و(عاشوراء) يُكَفِّر سنة واحدة.

ولكن بالمجموع: أفضل شهرٍ يُصام بعد رمضان: شهر الله الْمُحرَّم؛ هذا من حيث جنس الأشهر.

أما من حيث أفراد الأيام: فقد تَتَفاضل الأيام بعضها علىٰ بعض.

كما نقول مثلًا: جنس الرجال أفضل من جنس النساء، ولكن قد تكون امرأة من النساء خيرا من ألفٍ من الرجال، ولكن من حيث الجنس: فإن الرجال أفضل من النساء.

أيضًا مثال آخر: العرب والعَجَم: العرب أفضل من العَجَم من حيث الجنس، ولكن قد يكون هناك أعجمي خيرا من ألف عربي.

فالتفضيل بين الأشهر من حيث صيامها: فشهر الله الْمُحرَّم هو أفضل بعد رمضان.

أما من حيث أفراد الأيام: فقد يكون في بعض الشهور أفضل من بعض أيام شهر الله الْمُحرَّم؛ كـ(صيام يوم عرفة، وست من شوال) ونحو ذلك.

"**وظاهر الحديث**: فضل صيام شهر المحرم كاملًا.

وَحَمَله بعض العلماء علىٰ الترغيب في الإكثار من الصيام في شهر الْمُحَرَّم لا صومه كله؛ لقول عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قَطٍّ إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر منه صيامًا في شعبان) أخرجه مسلم".

ولكن قد يُجاب عن هذا بأن يقال: إن النبي ﷺ رَغَّب في صيام شهر الله الْمُحرَّم، بينما في شهر شعبان: صام بنفسه (وهذا فِعْلٌ منه)، فكلاهما عن الفعل.

والذي وَرَد في شهر الله الْمُحرَّم: القول؛ لأن النبي ﷺ لم يثبت عنه أنه صام شهر الله الْمُحرَّم، وإنما صام منه يوم عاشوراء.

فنقول: إن ظاهر الحديث: من قوله أننا نصوم شهر الله الْمُحرَّم كاملًا؛ وهذا مشروع، هذا من قول النبي ﷺ.

لأن السُّنة:

- إما أن تكون عملية.
- وإما أن تكون قولية.

فأما شهر شعبان: فإن السُّنة فيه عملية؛ فالنبي ﷺ صام في شهر شعبان وأَكْثَرَ من الصيام فيه، ولكن كما قالت عائشة رضي الله عنها في هذا الحديث: (لم يستكمل صيامه) فنقول: هذه سُنَّة فعلية.

وإن كان بعض أهل العلم يرىٰ أن النبي ﷺ صامه كله أحيانا كما يرجح ذلك الشيخ ابن باز؛ ويستدلون بحديث النبي ﷺ: (لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصله برمضان) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ لأبي داود.

وأما شهر الله الْمُحرَّم: فالسُنّة قولية، فقال النبي ﷺ: "«أفضلُ الصيام بعد رمضان شهرُ الله المحرم»"؛ فهذا يدل علىٰ أن شهر الله الْمُحرَّم يُستحبّ أن يُصام كله، فلو صامه الإنسان كله فقد وَافق السُّنة، وإن صام كثيرًا منه أيضًا هذا لا بأس به؛ لأن الحديث يحتمل هذا ويحتمل هذا.

"اللهم أيقظنا من رقدات الغفلة، وارزقنا الاستعداد قبل النُّقلة، وألهمنا اغتنام الزمان وقت الْمُهلة، ووفقنا لِفِعْل الخيرات وَتَرْك المنكرات، وصلّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

يوم عاشوراء في التأريخ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه في الجاهلية، فَلَمَّا قَدِمَ المدينة صَامه وَأَمَر بصيامه، فَلَمَّا فُرِضَ رمضان تَرَك يوم عاشوراء، فَمَنْ شاء صامه وَمَنْ شاء تركه) أخرجه البخاري ومسلم".

يوم عاشوراء يوم مُعَظَّم عند كثيرٍ من الْمِلل؛ فحتىٰ قريش الوثنية كانت تُعَظِّم يوم عاشوراء وتصوم يوم عاشوراء.

وقيل: إن هذا كان من بقايا دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي بَقيت عند قريش؛ لأن قريشًا فيهم بقايا من دين إبراهيم في كثيرٍ من عباداتهم خصوصًا في الحج؛ فتجد كثيرًا من عبادات أصلها: من بقايا دين الله من دين إبراهيم الخليل عليه السلام، ولكنهم حَرَّفوها إلىٰ الشرك.

فمِمَّا بَقِي لهم من دين إبراهيم الخليل عليه السلام: صيام يوم عاشوراء؛ فقد كانت قريش تصومه في الجاهلية، والنبي ﷺ كان يصومه في الجاهلية؛ فلذلك لم يكن صيام النبي ﷺ يوم عاشوراء موافقةً لليهود عندما جاء المدينة؛ لأنه كان يصومه قبل أن يأتي إلىٰ المدينة.

ولكن عندما سَأل اليهود عندما قَدِم إليهم ورآهم يصومون يوم عاشوراء فقالوا: (هذا يومٌ نَجَّا الله فيه موسىٰ) قال: «نَحْنُ أَحَقُّ بِموسىٰ مِنكم» فـ "فصامه وأَمَر بصيامه".

هل معنىٰ ذلك أنه لم يبتدئ الصيام إلا عندما سأل اليهود؟

لا؛ لأنه كان يصومه في الجاهلية قبل أن يأتي إلىٰ المدينة وقبل أن يكون رسولًا ﷺ.

ولكن سؤاله لليهود عن صيامهم استفهام واستعلام.

وأَمَر بصيامه؛ تأكيدًا علىٰ أحقية المسلمين بصيام هذا الشهر من اليهود.

فلا يُلَبَّس على الناس فيقال: إنه يجوز التَّشَبُّه باليهود كما يقول بعضهم الآن!

يقول: يجوز التَّشَبُّه باليهود والنصارىٰ كما تَشَبَّه النبي ﷺ بهم في صيام يوم عاشوراء!

وهذا لا شك أنه إما جهلٌ وإما هوىٰ؛ لأن النبي ﷺ مأمورٌ بمخالفتهم، وأيضًا كان يصومه قبلهم؛ فلم يوافقهم هو أصلًا، وإنما استعلم واستفهم منهم، ثم أَكَّد علىٰ أحقية المسلمين بصيام هذا اليوم فصامه وأَمَر بصيامه.

ومن فضل يوم عاشوراء: أنه كان في أول الأمر صياما واجبًا -علىٰ الصحيح-.

فقد أرسل النبي ﷺ مناديًا ينادي في الناس: (مَنْ كان مُفطرًا فَلْيُمسِك، ومَنْ كان صائمًا فَلْيُواصل صومه) فدل هذا علىٰ أن صيام عاشوراء كان واجبًا، ثم نُسِخ الحُكم بعد أن فَرَض الله شهر رمضان.

فلمَّا فَرَض الله شهر رمضان قال النبي ﷺ عن يوم عاشوراء: «مَنْ شَاء أَنْ يَصُومَه، ومَنْ شَاء فَلْيُفطِر» فنُسِخ الحُكم من الوجوب إلىٰ الاستحباب؛ فيَعْظُم صيام هذا اليوم العظيم وهذا اليوم المبارك لأنه كان في أصله واجبًا، وما كان واجبًا في أصله إلا لِعَظَمته.

"الحديث دليلٌ علىٰ أن أهل الجاهلية كانوا يعرفون يوم عاشوراء، وأنه يومٌ مشهورٌ عندهم، وأنهم كانوا يصومونه.

وكان النبي ﷺ يصومه أيضًا واستمر علىٰ صيامه قبل الهجرة ولم يأمر الناس بصيامه؛ وهذا يدل علىٰ قُدسية هذا اليوم وعَظيم منزلته عند العرب في الجاهلية قبل بعثة النبي ﷺ.

ولهذا كانوا يسترون فيه الكعبة، كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يُفْرَض رمضان، وكان يومًا تُسْتَرُ فيه الكعبة) الحديث أخرجه البخاري.

قال القرطبي: (حديث عائشة يدل علىٰ أن صَوْم هذا اليوم كان عندهم معلومُ المشروعية والقَدْر، ولعلهم كانوا يستندون في صومه إلىٰ أنه من شريعة إبراهيم وإسماعيل صلوات الله وسلامه عليهما؛ فإنهم كانوا ينتسبون إليهما ويستندون في كثير من أحكام الحج وغيره إليهم).

والذي يُستفاد من مجموع الأدلة: أن صوم عاشوراء كان واجبًا في أول الأمر بعد هجرة النبي ﷺ إلىٰ المدينة -علىٰ الصحيح من قولي أهل العلم-؛ لثبوت الأمر بصومه.

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: (أَمَرَ النبي ﷺ رجلًا من أَسْلم أن أَذِّن في الناس: أَنَّ مَن كان أَكَل فَلْيَصُم بقية يومه، ومَنْ لم يكن أَكَل فَلْيَصم؛ فإن اليوم يوم عاشوراء) متفق عليه".

وهذا يدل علىٰ وجوبه في أول الأمر ثم نُسِخ بعد فَرْض رمضان، كما مَرَّ بحديث عائشة: "(فَلَمَّا فُرِضَ رمضان تَرَك يوم عاشوراء)": أي تَرَك الأمر بوجوب صيامه.

يعني يكون وجوب صَوْم يوم عاشوراء مَكَث في المسلمين تقريبًا سنة؛ لأن صيام رمضان فُرِض في السنة الثانية من الهجرة، والنبي ﷺ ما أَمَر بصيام يوم عاشوراء إلا بعد الهجرة؛ يعني كان واجبًا مرةً واحدة ثم نُسِخ.

"وَلَمَّا فُرِضَ رمضان في السنة الثانية من الهجرة نُسِخَ وجوبُ صَومِ عاشوراء، وبقي الاستحباب، ولم يقع الأمر بصوم عاشوراء إلا في سنةٍ واحدة،

وهي السنة الثانية من الهجرة حيث فُرِض عاشوراء في أولها، ثم فُرِض رمضان بعد منتصفها، ثم عَزَم النبي ﷺ في آخر عُمره في السنة العاشرة علىٰ ألَّا يصومه مُفردًا بل يصوم قبله اليوم التاسع -كما سيأتي إن شاء الله-؛ وهي صورة من صُوَر مخالفة أهل الكتاب في صفة صيامهم.

اللهم يا مَنْ لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة ارزقنا التوبة إليك والإنابة، وأيقظنا يا مولانا من نوم الغفلة، ونَبِّهنا لاغتنام أوقات الْمُهلة، اللهم اجعلنا مِمَّنْ تَوَكَّل عليك فَكَفَيْته، واستهداك فهديته، واستنصرك فَنَصَرْته، وَتَضَرَّع إليك فَرَحِمْته، وصلّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد".

قد يقول قائل: لماذا الشيخ يُكَرِّر الدعاء والصلاة علىٰ النبي ﷺ في كل باب؟

لأن الشيخ حفظه الله أَلَّف هذا الْمُؤَلَّف من أجل أن يُقرَأ علىٰ جماعة المسجد.

لذلك كما ذكرنا في أول الدرس: أنه ينبغي علىٰ الخطيب وعلىٰ إمام المسجد أن يقرأ هذه الرسالة في هذه الأيام علىٰ جماعته؛ فيُخَصِّص لكل يومٍ درسًا من هذه الدروس، فهي دروس نافعة وفيها فوائد جميلة.

"الترغيب في صيام يوم عاشوراء

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئِل عن صوم يوم عاشوراء فقال: «يُكَفِّر السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ».

وفي رواية: «وَصِيَام يَوْمِ عَاشُوْرَاء أَحْتَسِبُ عَلَىٰ الله أَنْ يُكَفِّر السَّنَةَ التِي قَبْلَه» أخرجه مسلم".

هذا الحديث يدل علىٰ فضل صيام يوم عاشوراء وأنه يُكَفِّر ذنوب سنةٍ ماضية، فهو يُكَفِّر سنةً واحدة؛ ولذلك كان يوم عرفة أعظم من يوم عاشوراء لأنه يُكَفِّر سنتين.

وقد ذَكَر بعض أهل العلم: أن سبب تفضيل يوم عرفة على يوم عاشوراء: قالوا: لأن يوم عرفة يومٌ مُحمدي؛ يعني أنه شُرِع في شريعة النبي ﷺ، وهو أفضل الأنبياء والرسل، وأما يوم عاشوراء: فهو يومٌ موسوي؛ فلذلك كان يُكَفِّر سنةً واحدة.

وهذا يدل علىٰ فضل النبي ﷺ، ولا شك أن الأنبياء كلهم فضلاء، ولكنهم يتفاضلون كما فَضَّل الله سبحانه وتعالىٰ بينهم.

فهذه ذَكَرها بعض أهل العلم في سبب تفضيل يوم عرفة علىٰ يوم عاشوراء.

وهذا لا شك أنه من الاستنباطات التي يذكرها أهل العلم، ولكن لا يُجزَم بها أنها بسبب هذا وسبب هذا؛ لأن الأسباب قد تكون أكثر من السبب الواحد الذي يذكره بعض أهل العلم؛ فهذا مثلًا يذكر سببًا، وذاك يذكر سببًا، فيكون التفضيل بمجموع هذه الأسباب التي يستنبطها العلماء؛ وغيرها مما لم يذكروه.

فقد يقول قائل مثلًا: لفضل يوم عرفة وأنه تُعتق فيه الرقاب، وأن الله ينزل فيه في عَشيته فيُباهي بأهل الموقف، وأنه تُكَفَّر فيه الخطيئات والسيئات، إلىٰ غير ذلك من الأسباب التي فُضِّل فيها يوم عرفة علىٰ غيره من الأيام.

فالأسباب متعددة.

"الحديث دليلٌ علىٰ فضل صيام يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من شهر الله الْمُحَرَّم -علىٰ القول الراجح والمشهور عند أهل العلم-.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: (ما علمتُ أن رسول الله ﷺ صام يومًا يطلب فضله علىٰ الأيام إلا هذا اليوم، ولا شهرًا إلا هذا الشهر) -يعني رمضان- متفق عليه".

ويكفي فضلًا لهذا اليوم: أن النبي ﷺ كان يطلب فضله كما يطلب فضل شهر رمضان؛ فهذا يدل علىٰ العناية بصيام يوم عاشوراء؛ فلا ينبغي للمرء أن يُفَرِّط في الصيام، كلها ساعات ودقائق ولحظات وتفوز بأجرٍ عظيم؛ أن تُكَفَّر عنك سنة كاملة.

وما أحوجنا إلىٰ تكفير السيئات، ما أكثر الذنوب والمعاصي التي يقترفها العبد، والتي نُبارز الله سبحانه وتعالىٰ بها!

فعلينا أن نستغل هذه الْمُكَفِّرات للذنوب والمعاصي والسيئات حتىٰ نلقىٰ الله عز وجل بصحيفةٍ تُنَجِّينا في ذلك اليوم العظيم.

فالمسلم -وإن عَظُم عمله وصلاحه- فيقع في الهفوات والذنوب والسيئات، ما سَلِم منها الأنبياء والمرسلون فكيف يَسلم منها مَنْ هو دونهم.

فالمؤمن إذا وَقَعَ في هذه الذنوب الصغائر أو وَقع في الكبائر فإنه يُبادر بالتوبة والرجوع وينظر في مُكَفِّرات الذنوب، فمُكَفِّرات الذنوب كثيرة؛ ومنها: صيام هذا اليوم (صيام يوم عاشوراء)، هو من مُكَفِّرات الذنوب، فهو يُكَفِّر سنةً ماضية.

ولكن هذا التكفير هل هو تكفيرٌ للكبائر والصغائر؟

العلماء رحمهم الله مختلفون في مثل هذه الأحاديث؛ فجمهور أهل العلم أنها في الصغائر لا في الكبائر، واستدلوا في ذلك بحديث النبي ﷺ: أنه قال: «الْجُمعة

إِلَىٰ الْجُمعة، ورَمَضَان إِلَىٰ رَمَضَان مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنهما إِذَا اجْتُنبت الْكَبائر» فقالوا: صيام التطوع وبقية الأعمال الصالحة ليست أفضل من الصلاة ولا أفضل من الصيام الواجب، ومع ذلك فإنها لم تُكفِّر إلا الصغائر، فمن باب أَوْلَىٰ ما دونها من الأعمال فإنها لا تُكَفِّر إلا الصغائر.

وبعض أهل العلم حَمَلَ هذه الأحاديث علىٰ ظاهرها؛ فقال: تُكَفِّر الصغائر وتُكَفِّر الكبائر، والإنسان عليه أن يُحسِن الظن بالله عز وجل وأن يتوب من الكبائر ومن الصغائر ويجتهد في الحسنات ويبتعد عن السيئات لعل الله عز وجل أن يرفع الدرجات وأن يتقبل منه الأعمال الصالحات ويتوب عليه ويمحو عنه هذه السيئات والذنوب.

"فينبغي للمسلم أن يصوم هذا اليوم، ويحث أهله وأولاده علىٰ صيامه؛ اغتنامًا لفضله، وَتَأَسِّيًا بالنبي ﷺ".

حُثّ أهلك وأولادك وجميع مَنْ لهم حقٌّ عليك وعموم المسلمين، بل حتىٰ الأولاد الذين لم يبلغوا حُثهم علىٰ الصيام؛ وهذا واردٌ عن الصحابة؛ أنهم كانوا يُصَوِّمون أولادهم الصغار في يوم عاشوراء، بل كانوا إذا جاعوا أو عَطِشوا أعطهم الألعاب من أجل أن يغفلوا عن الأكل والشُّرب حتىٰ يُتِمُّوا صوم هذا اليوم.

فبعض الناس من قِلَّة عِلْمه وجَهْله يقول: لماذا نُلزم الصغار الذين لم يُكَلَّفوا بصيامٍ مُستحب؟! هُم لا يجب عليهم صيام الواجب فكيف نُلزمهم بالمستحب؟!

نقول المسألة ليست إلزامًا، المسألة تعويد لهؤلاء الصغار علىٰ طاعة الله، علىٰ المستحبات والواجبات؛ حتىٰ ينشأ هذا الصغير من الذكور ومن الإناث علىٰ طاعة الله عز وجل.

وما يضر هذا الطفل الصغير لو صام هذا اليوم؟! بل إنه لو صام هذا اليوم: تَعَوَّد علىٰ الطاعة، وأيضًا يعيش مع أهل بيته علىٰ هذه العبادة والطاعة؛ فيعتاد هذا الأمر المعروف

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ فِيْنَا عَلَىٰ مَا كَانَ عَوّدَهُ أَبُوه

فإذا عَوَّدت الصغير علىٰ الطاعة فإنه يشيب عليها، وإذا لم تُعَوَّده علىٰ ذلك فإنه قد يقع فيما يخالفها.

ولذلك كلنا يرجو ولدًا صالحًا؛ حتىٰ يفوز بالأجر الجاري الذي لا ينقطع بعد موته؛ فإن النبي ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ ابْن آدم انْقَطَع عَمَله إِلَّا مِن ثَلاث؛ صَدَقةٍ جَارِية، أَو عِلْمٍ يُنْتَفَع بِه، أو وَلَدٍ صالح يَدْعو لَهُ».

كيف يكون ولدك صالحًا وأنت لم تَسْعَ في صلاحه؟!

من صلاحه: أن تُدَرِّبه وأن تَحُثّه علىٰ الطاعات وهو صغير؛ حتىٰ ينشأ علىٰ الطاعة، ويكبر علىٰ الطاعة؛ فيكون ولدًا صالحًا يدعو لك فترتفع درجتك.

لأن الرجل قد يأتي يوم القيامة وهو يلقىٰ في صحيفته من الدرجات العظيمة ما لم يكن يعملها في هذه الحياة الدنيا، فيقول: كيف لي هذا؟ فيقال له: باستغفار ولدك لك! كما صح بذلك الخبر.

فأنت تريد ولدًا صالحًا مُطيعًا بارًّا هذا كيف؟! ما يأتي هكذا؟! (سَبهللة)؛ هذا يأتي بتعويده وتدريبه علىٰ الطاعات والعبادات.

فعلينا أن نُحَرِّص أبناءنا الصغار والكبار وأولادنا جميعًا علىٰ صيام يوم عاشوراء.

"وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يأمر بصيام يوم عاشوراء، ويحثنا عليه، ويتعاهدنا عليه) الحديث، أخرجه مسلم".

النبي ﷺ حَثَّ علىٰ صيام يوم عاشوراء في أكثر من حديث؛ وهذا يدل علىٰ فضله وعظيم شأنه.

"وصيامه من أفضل الأعمال عند الله تعالىٰ.

ومن فوائد صوم التطوع: إضافة إلىٰ ما رُتِّب عليه من الأجر أنه كغيره من التطوعات يجبر ما عسىٰ أن يكون في أداء الفرض من نَقْصٍ أو تقصير.

وفي ذلك قال النبي ﷺ في شأن الصلاة: «قَالَ الرَّبُّ تَبَارَك وَتَعَالَىٰ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِن تَطَوُّع؟ فَيُكَمَّلُ بها مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيْضَةِ، ثُمَّ يَكُوْن سَائِر عَمَلِه كَذلِك»".

وهذا من فضائل الأعمال التطوعية: أنها تَسدّ الخَلل الذي يكون في الأعمال الفرضية.

"كما أن صَوْم النَّفْل يُهَيِّئ المسلم للتَّرقي في درجات القُرْب من الله تعالىٰ، والظَّفَرِ بمحبته، كما في الحديث القدسي: «مَا تَقرَّب إِلَيَّ عَبْدِي بِأَفْضَلَ مِمَّا افْتَرَضْتُه عَلَيْه، وَلَا يَزَال عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِل حَتَّىٰ أُحِبَّه» الحديث.

وَاعْلَم أن كل نَصٍّ جاء فيه تكفير بعض الأعمال الصالحة للذنوب كـ (الوضوء، وصيام رمضان، وصيام يوم عرفة، وعاشوراء وغيرها) أن المراد به الصغائر؛ لأن هذه العبادات العظيمة (وهي الصلوات الخمس، والجمعة، ورمضان) إذا كانت لا تُكَفَّر بها الكبائر -كما ثَبَتَ في السُّنة- فكيف بما دونها من الأعمال؟!

ولهذا يرىٰ جمهور العلماء أن الكبائر كـ (الربا، والزنا، والسِّحر، وغيرها) لَا تُكَفِّرها الأعمال الصالحة، بل لا بد لها من توبةٍ أو إِقَامة الْحَدِّ فيما يتعلق به حَدّ.

فَعَلىٰ المسلم أن يُبادر بالتوبة في هذه الأيام الفاضلة من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها؛ لعل الله تعالىٰ أن يَتُوب عليه ويغفر ذنبه ويقبل طاعته؛ لأن التوبة في الأزمنة الفاضلة لها شأن عظيم؛ فإن الغالب إقبال النفوس علىٰ الطاعات، ورغبتها في الخير؛ فيحصل الاعتراف الذنب، والندم علىٰ ما مضىٰ، لا سيما ونحن في بداية عام جديد، وإلا فالتوبة واجبة في جميع الأزمان".

التوبة واجبةٌ على الفور؛ لأنك ما تعلم متىٰ يَحين عليك أَجَلُك؛ فيجب عليك أن تتوب قبل أن تموت.

بل ذَكَر ابن القيم رحمه الله: (تجب التوبة من تأخير التوبة).

فالإنسان عليه أن يُبادِر بالتوبة، وإذا تأخر عنها وَجَبَ عليه أن يتوب وأن يتوب من تأخيره للتوبة.

فالإنسان يُبادِر بالتوبة ولا ينتظر فيُسَوِّف؛ لأنه إذا سَوَّف قد يَفجأه الأجل ولا يستطيع أن يتوب ولا تَ حين مَنْدم بعد ذلك، نسأل الله السلامة والعافية.

"اللهم يا مُصْلح الصالحين أَصْلِح فساد قلوبنا، وَاسْتُر في الدنيا والآخرة عيوبنا، اللهم حَبِّب إلينا الإيمان وَزَيِّنه في قلوبنا، وَكَرِّه إلينا الكُفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، وَصَلَّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

الحكمة من صيام يوم عاشوراء

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِم رسول الله ﷺ المدينة فَوَجَد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فَسُئلوا عن ذلك فقالوا: (هذا اليوم الذي أَظْهَر الله فيه

موسىٰ وبني إسرائيل علىٰ فرعون؛ فنحن نصومه تعظيمًا له) فقال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ أَوْلَىٰ بِمُوسَىٰ مِنْكُم» فَأَمَر بِصِيامه، أخرجه البخاري ومسلم.

وفي رواية لمسلم: (فَصَامَه مُوسىٰ شُكرًا؛ فَنَحن نصومه)".

هذا الحديث -كما ذكرنا قبل قليل- أن النبي ﷺ كان يصوم يوم عاشوراء قبل مجيئه إلىٰ المدينة وهجرته إليها، كان يصومه في الجاهلية، وكانت قريش تصومه في الجاهلية، فلم يكن صيام النبي ﷺ بسبب صيام اليهود، وإنما استعلم واستفهم منهم ثم أَكَّد علىٰ صيامه وحَثَّ عليه، وبَيَّن أن المسلمين أحق من اليهود فيه.

ولكن هنا إشكال يطرحه بعض الْمُلَبِّسين والْمُنكرين للسُّنة والطاعنين في السُّنة من الزنادقة والعقلانيين، يقولون: كيف النبي ﷺ قَدِم المدينة وَوَجَد اليهود يصومون يوم عاشوراء؟! مع أن النبي ﷺ دَخَل المدينة في شهر ربيع الأول، فكيف دَخَل واليهود يصومون؟!

فجاء أحد الزنادقة الطاعنين في السُّنة -وله مقطع منتشر في وسائل التواصل- ينشر فيها جَهْله وطَعْنه بالسُّنة، يقول: هذا يدل علىٰ أن هذا الحديث موضوع!

الحديث في صحيح البخاري ومسلم ويأتي هذا ويقول: هذا حديث موضوعٌ! لماذا؟

قال: لأن النبي ﷺ جاء المدينة في شهر ربيع وَوَجد اليهود يصومون عاشوراء؛ فهذا يدل علىٰ أن هذا الحديث غير صحيح! وهذا لجَهْله.

لأن اليهود صاموا يوم عاشوراء في شهر ربيع الأول لأنهم كانوا يصومونه علىٰ الأشهر الشمسية، ما كانوا يصومونه علىٰ الأشهر القمرية (التي هي الأشهر الشرعية)؛ فلذلك وقعوا في مخالفة يوم عاشوراء بتحديده الشرعي.

وأيضًا يقال: إن الكفار ونحوهم كانوا يُؤخرون بعض الأشهر تحليلًا للحرام -كما جاء ذلك في كتاب الله عز وجل-.

وقد ذَكَر الوجه الأول ابن حجر وغيره: أنهم كانوا يصومونه علىٰ الأشهر الشمسية؛ فوقعوا في مخالفته من حيث تحديده؛ فصاموه في شهر ربيع الأول، وإذا استمروا علىٰ ذلك قد يصومونه في شهر ربيع الثاني، وهكذا، فلا يُوافقوا شهر الْمُحرم إلا بعد مُدة طويلة من حيث وقته الشرعي الصحيح.

لأن السَّنة الشمسية التي عليها النصارىٰ واليهود تختلف عن السَّنة القمرية من حيث عدد الأيام؛ فلا إشكال في الحديث أن النبي ﷺ عندما جاء المدينة وجدهم يصومون لأنهم وقعوا في مخالفة اليوم الشرعي ليوم عاشوراء، فَهُم حسبوه بالسَّنة القمرية، والنبي ﷺ صامه علىٰ السَّنة الهجرية المأمور بها شرعًا.

فيتضح جَهْل هذا الذي يطعن في السُّنة، جَهْله بالحديث ومعاني الحديث، وأيضًا يدل علىٰ أنه عدو لسُنَّة النبي ﷺ، وإنما يريد تشكيك الناس في هذه الفضائل حتىٰ لا يصوموا هذه الفضائل فيُعرضوا عن هذه الأجور العظيمة ويحرم الناس من هذه الأجور العظيمة التي قد لا يُدركها الإنسان بعد فواتها.

لأن الأيام الفاضلة إذا فاتت لا تعود، إذا فَاتك هذه السَّنة صيام شهر الله الْمُحرَّم أو صيام يوم عاشوراء فقد لا تُدركه السَّنة القادمة، الإنسان ما يدري متىٰ يحين عليه الأَجَل.

فيستغل المرء حياته، يستغل صحته، يستغل غِناه، يستغل فراغه في العبادات والطاعات حتىٰ لا يفجأه الأجل وهو علىٰ غير طاعة الله سبحانه وتعالىٰ.

"الحكمة من صيام يوم عاشوراء

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِم رسول الله ﷺ المدينة فَوَجَد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فَسُئلوا عن ذلك فقالوا: (هذا اليوم الذي أَظْهَر الله فيه موسىٰ وبني إسرائيل علىٰ فرعون؛ فنحن نصومه تعظيمًا له) فقال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ أَوْلَىٰ بِمُوْسَىٰ مِنْكُم» فَأَمَر بِصِيامه، أخرجه البخاري ومسلم.

وفي رواية لمسلم: (فَصَامَه مُوسىٰ شُكرًا؛ فَنَحن نصومه)".

في قول النبي ﷺ لليهود: "«نَحْنُ أَوْلَىٰ بِمُوْسَىٰ مِنْكُم»" هذا لأن النبي ﷺ وبقية الأنبياء علىٰ دينٍ واحد، ولكن تختلف شرائعهم.

أما اليهود: وإن انتسبوا إلىٰ موسىٰ فموسىٰ بريءٌ منهم؛ لأنهم لم يؤمنوا بموسىٰ حق الإيمان؛ لأنهم كفروا بمحمدٍ، ومَنْ كَفَر بنبي واحد فقد كَفَر بجميع الأنبياء.

ولذلك قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، هُم لم يُكَذِّبوا إلا نوحًا ومع ذلك قال الله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]؛ فدلَّ علىٰ أن تكذيب نبيٍّ واحد هو تكذيبٌ لكل الأنبياء والرسل.

فاليهود وإن زعموا أنهم أتباعٌ لموسىٰ فَهُم كاذبون.

فالنبي ﷺ وأهل الإسلام أَوْلَىٰ بموسىٰ من اليهود؛ وذلك لأن اليهود لم يَتِّبعوا موسىٰ في قوله وفي توصيته بمحمد ﷺ؛ لأن النبي ﷺ مذكورٌ في التوراة والإنجيل، بل الصحابة مذكورون في التوراة والإنجيل، ولكن اليهود مستكبرون عن شَرْع الله عز وجل؛ فليسوا هُم أَوْلَىٰ بموسىٰ مِنَّا.

ومع ذلك نقول: إن النبي ﷺ صام يوم عاشوراء قبل أن يسأل اليهود؛ لأنه صامه مع قريش في الجاهلية، وجاء إلىٰ اليهود فسألهم سؤال استعلام واستفهام، لا سؤال اقتداء بهم.

فلَمَّا سألهم سؤال استفهام واستعلام عن صيامهم قال: "«نَحْنُ أَوْلَىٰ بِمُوْسَىٰ مِنْكُم»" فأمَر بصيام يوم عاشوراء ﷺ.

"في الحديث بيانٌ للحكمة العظيمة من مشروعية صيام يوم عاشوراء؛ وهي تعظيم هذا اليوم، وشُكرُ الله تعالىٰ علىٰ نجاة موسىٰ عليه الصلاة والسلام وبني إسرائيل وإغراق فرعون وقومه؛ ولهذا صامه موسىٰ عليه السلام شُكرًا لله تعالىٰ، وصامته اليهود.

وأُمّة محمد ﷺ أَحَقُّ بأن تقتدي بموسىٰ من اليهود؛ فَإِذَا صامه موسىٰ شُكرًا لله تعالىٰ فنحن نصومه كذلك.

ولهذا قال النبي ﷺ: «نَحْنُ أَوْلَىٰ بِمُوْسَىٰ مِنْكُم».

وفي رواية: «فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوْسَىٰ مِنْكم».

أي نَحن أَثْبَت وأَقْرَب لمتابعة موسىٰ عليه السلام مِنكم؛ فَإِنَّا مُوافقون له في أصول الدين ومُصَدِّقون لكتابه، وأنتم مُخالفون لهما بالتغيير والتحريف، والرسول ﷺ أَطْوَع وأَتْبَع للحق منهم؛ فَلِذَا صام يوم عاشوراء، وَأَمَر بصيامه؛ تقريرًا لتعظيمه وتأكيدًا لذلك.

وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: (كان يوم عاشوراء يومًا تُعَظِّمه اليهود، وتتخذه عيدًا، فقال رسول الله ﷺ: «صُوْمُوا أَنْتُم») أخرجه البخاري ومسلم.

وفي رواية لمسلم: (كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيدًا، ويُلبسون نساءهم فيه حُلِيّهم وشارتهم، فقال رسول الله ﷺ: «صُوْمُوا أَنْتُم»)".

أهل خيبر: هُم اليهود.

"**وظاهر هذا**: أَنَّ مِن حكمة صَوْمه: مخالفة اليهود؛ وذلك بعدم اتخاذه عِيدًا والاقتصار علىٰ صَومه؛ لأن يوم العيد لا يُصام.

وهذا من أَوْجُهِ مُخالفة اليهود في يوم عاشوراء.

وسيأتي إن شاء الله وَجْهٌ آخر من المخالفة: وهو صَوم التاسع قبله".

النبي ﷺ خَالَف اليهود:

أولًا: في أنه صامه ولم يتخذه عيدًا، أما اليهود: اتخذوه عيدًا وصاموه! وهذا من تناقضهم؛ لأن الأعياد لا تُصام.

فهذه المخالفة الأولىٰ التي خالف فيها النبي ﷺ اليهود في صيام يوم عاشوراء: أنه خالفهم بأن صامه ولم يجعله ويتخذه عيدًا يُوَسَّع علىٰ الناس فيه ويُظْهَر الفرح والسرور، وإنما نتبع الرسول ﷺ فيما فعل وهو الصيام فقط.

وسيأتي ذكر المخالفة الثانية، وهي: المخالفة في عدد الأيام التي تصام.

"**وقد ضلَّ في هذا اليوم طائفتان:**

- طائفةٌ شَابَهت اليهود؛ فاتخذت عاشوراء موسم عيد وسرور، تُظْهِر فيه شعائر الفرح كالاختضاب والاكتحال، وتوسيع النفقات علىٰ العيال، وطَبْخ الأطعمة الخارجة عن العادة، ونحو ذلك من عمل الجُهّال؛ الذين قابلوا الفاسد بالفاسد، والبدعة بالبدعة!".

بعضهم يقول: دعونا نخالف الرافضة: هُم يحزنون ونحن نفرح! لا؛ تُقابل البدعة ببدعة؟! قَابِل البدعة بالسُّنة، السُّنّة: هي أن تصوم هذا اليوم.

ولا نُقابل بدعة الروافض (باللطم والحُزن وشَق الجيوب ولَطْم الخدود) بإظهار الفرح والسرور، لا؛ نُقابل بدعتهم بسُنّة النبي ﷺ (وهو الصيام).

وأما ما جاء عن النبي ﷺ في يوم عاشوراء غير الصيام فلا يصح.

وخذها قاعدة: كل الأحاديث التي وردت عن التوسعة علىٰ العيال في يوم عاشوراء أو الاختضاب أو الاكتحال أو الفرح أو السرور فإنها باطلة؛ كما ذَكَر ذلك ابن القيم.

فكل الأحاديث التي وردت في غير صيام يوم عاشوراء فإنها باطلة.

ولذلك هناك حديث يُروىٰ أن النبي ﷺ قال: (مَنْ وَسَّع علىٰ عياله في يوم عاشوراء وُسِّع له في رِزقه بقية السَّنة) وقال سفيان ابن عُيينة: جَرَّبنا هذا فوجدناه!

هذا حديثٌ ذَكَر أهل العلم أنه منكر، فلا يصح عن النبي ﷺ.

وأما قول سفيان رحمه الله: هذا اجتهادٌ منه، وقوله: (أنه وَجَد هذا) قد يكون هذا الرزق الذي جاءه ليس بسبب هذا الصيام، ومَنْ الذي يجزم أن الرزق الذي جاءك في السَّنة بسبب صيامك ليوم عاشوراء؟! ما أحد يستطيع أن يجزم أن هذا الرزق بسبب التوسعة علىٰ العيال في يوم عاشوراء، ما أحد يستطيع أن يجزم بذلك.

فلذلك هذا اجتهادٌ منه؛ ولذلك العلماء رحمهم الله لم يأخذوا بهذا الحديث الذي لا يصح عن النبي ﷺ، ولا بعمل سفيان؛ لأن الواجب علىٰ المسلم: أن لا يُعارِض سُنّة النبي ﷺ بشيء.

السُّنة التي فعلها النبي ﷺ: هي الصيام، ما نزيد عليها أبدًا.

وما لم يثبت عنه فإننا لا نأخذ به

ولذلك عندما سُئل الإمام أحمد رحمه الله عن هذا الحديث لم يَره شيئًا؛ يعني لم يعمل به ولم يره ثابتًا عن النبي ﷺ.

فإذًا يوم عاشوراء: لا نقابل بدعة الروافض ببدعةٍ جديدة، وإنما نقابلها بالسُّنة.

هذه الطائفة الأولىٰ: التي **"شابهت اليهود"**؛ جعلت يوم عاشوراء يوم فَرح وسرور وعيد.

والطائفة الثانية:...

"- وطائفة أخرىٰ اتخذت عاشوراء يوم مَأتم وحُزْن ونياحة؛ لأجل قَتْل الحُسين بن علي رضي الله عنهما؛ تُظْهر فيه شعار الجاهلية من لَطْم الخُدود وشَقّ الجيوب وإنشاد قصائد الحزن، ورواية الأخبار التي كَذِبُها أكثر من صِدْقها، والقصد منها: فَتْح باب الفتنة، والتفريق بين الأمة؛ وهذا عَمَلُ مَنْ ضَلَّ سَعْيه في الحياة الدنيا، وهو يحسب أنه يُحْسِن صُنْعًا".

وهُم الروافض -لا كَثَّرهم الله-؛ هُم الذين يتخذون هذا يوم مأتم (لَطْم الخدود، شَق الجيوب)! وهذا -والله أعلم- من عقوبة الله لهم أنهم يضربون أنفسهم بأنفسهم، وأنه يُعَذِّبون أنفسهم بأنفسهم.

وهذا الذي يفعلونه نَهَىٰ عنه الحسين رضي الله عنه.

فلو كانوا صادقين في اتباعهم للحُسين رضي الله عنه ما لطموا الخدود ولا شَقّوا الجيوب؛ لأن الحسين قبل أن يُقتل في العراق أوصىٰ أهله الذين كانوا معه وخرجوا معه إلىٰ العراق وسألهم بالله: أن لا يلطموا الخدود ولا يشقوا الجيوب.

ولكن هؤلاء الروافض لا يتبعون الحسين، وإنهم هُم يريدون إفساد الإسلام وأهل الإسلام بالشرك والغُلو في أهل بيت النبي ﷺ فعبدوهم من دون الله!

وهُم الذين قتلوا الحسين، ما قَتَل الحسين إلا الشيعة الرافضة، خدعوه، قالوا له: ائت إلينا في العراق وسنُناصرك وسنقيم لك الدولة، فلمَّا جاء إليهم في العراق غدروا به وقتلوه مع عُبيد الله بن زياد –أخزاه الله-؛ فَهُم الذين قتلوا الحسين رضي الله عنه وأرضاه، ومع ذلك الآن يتباكون عليه! ويقولون: إن النواصب هُم الذين قتلوه! وهُم الذين قتلوه! فَهُم يتباكون عليه من أجل تغطية فضيحتهم وجريمتهم في قَتْلهم لسِبْط رسول الله ﷺ الذي هو بريءٌ من أفعالهم إلىٰ يوم الدين.

فالحُسين رضي الله عنه نحن أَوْلَىٰ به منهم؛ فهو إمامنا وليس إمامهم، وعلي إمامنا وليس إمامهم.

بل هُم أئمتهم: الشياطين، والطواغيت، والكَفَرة وبقية المجرمين.

فإمامهم الأول الذي أخرج لهم هذا الدين هو عبد الله بن سبأ اليهودي اللعين؛ الذي تَظَاهر بالإسلام وكان يهوديًّا وادَّعىٰ الألوهية في علي رضي الله عنه!

فخرجت هذه الطائفة من فِكْر هذا الرجل (عبد الله بن سبأ).

فأصل فِكْر الرافضة من اليهود؛ فهو إمامهم.

أما علي وآل بيت النبي ﷺ -المسلمون منهم والموحدون-: فَهُم أئمة أهل السُّنة، وليسوا أئمةً للرافضة.

فإذًا الرافضة جعلوه حُزْنًا ونياحة، وجعلوا فيه شعار الجاهلية من لَطْم الخدود وشق الجيوب.

والطائفة التي قبلها أظهرت الفرح والسرور والتوسعة علىٰ العيال.

وأهل السُّنة وَسَطٌ بين هاتين الطائفتين الضالتين؛ فإنهم يصومون هذا اليوم كما فَعَل النبي ﷺ ولا يزيدون علىٰ ذلك.

"وقد هَدَىٰ الله تعالىٰ أهل السُّنّة ففَعلوا ما أَمَرَهم به نَبِيّهم ﷺ من الصوم، مع رعاية عدم مُشابهة اليهود فيه، واجتنبوا ما أَمَرهم الشيطان به من البدع، فَلِله الحمد والْمِنَّة.

اللهم فَقِّهنا في ديننا، وَارْزقنا العمل به والاستقامة عليه، وَيَسِّرنا لليُسرىٰ وَجَنِّبنا العُسرىٰ، واغفر لنا في الآخرة والأولىٰ، وَصَلَّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

استحباب صيام اليوم التاسع مع العاشر".

وهذا آخر باب في هذه الرسالة النافعة.

"عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن رسول الله ﷺ لَمَّا صام يوم عاشوراء وأَمَر بصيامه قالوا: يا رسول الله! إنه يوم تُعَظِّمه اليهود والنصارىٰ! فقال رسول الله ﷺ: «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ».

قال: فَلَمْ يأتِ العام الْمُقبل حَتىٰ تُوفي رسول الله ﷺ) أخرجه مسلم.

وفي رواية له: «لَئِنْ بَقِيْتُ إِلَىٰ قَابِلٍ لَأَصُوْمَنَّ التَّاسِعَ»".

من أجل مخالفة اليهود.

وهذه المخالفة الثانية التي خالف فيها النبي ﷺ اليهود.

المخالفة الأولى: هي الصوم مع عدم اتخاذه عيدًا كما فَعَل اليهود.

المخالفة الثانية: أنه يصوم يومًا قبله.

وسنذكر بإذن الله مراتب صيام يوم عاشوراء بعد قليل.

"الحديث دليلٌ علىٰ أنه يُسْتَحَبُّ لِمَنْ أراد أن يصوم عاشوراء أن يصوم قبله يومًا (وهو اليوم التاسع)؛ فيكون صوم التاسع سُنَّة وإن لم يَصُمه النبي ﷺ؛ لأنه عَزَمَ علىٰ صومه.

والغرض من ذلك -والله أعلم-: أن يَضُمّه إلىٰ العاشر؛ ليكون هَدْيه مُخالفًا لأهل الكتاب؛ فإنهم كانوا يصومون العاشر فقط.

وهذا تُشْعِر به بعض الروايات في مسلم، وقد صَحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه: «صُوْموا التَّاسِع وَالْعَاشِر؛ خَالِفُوْا الْيَهود».

وفي هذا دلالةٌ واضحة علىٰ أن المسلم مَنْهي عن التَّشَبُّه بالكفار وأهل الكتاب؛ لِمَا في تَرْك التَّشَبُّه بهم من المصالح العظيمة والفوائد الكثيرة، ومن ذلك قَطْع الطُّرق الْمُفضية إلىٰ محبتهم والميل إليهم، وتحقيق معنىٰ البراءة منهم، وبُغْضِهم في الله تعالىٰ، وفيه أيضًا استقلال المسلمين وَتَمَيُّزهم".

هذا هو الواجب علينا: أن لا نَتَشبَّه بالكفار بالعموم من أهل الكتاب وغيرهم؛ لأن النبي ﷺ يقول: «مَنْ تَشبَّه بِقَوْمٍ فَهُو مِنهم».

وللأسف أن اليوم كثير من المسلمين من الرجال والنساء يتبعون اليهود والنصارىٰ في قَصّاتهم، في لباسهم، في مَشيهم، في حَركاتهم، في سَكَناتهم، وهذا صِدْق ما قاله النبي ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَن مَنْ كَان قَبْلَكم حَذْو القُذَّة بِالقُذَّة، وَلَو دَخلوا جُحْر ضَبٍّ لَدَخلتموه» قالوا: اليهود والنصارىٰ؟ قال: «فَمَنْ».

فالناس اليوم كثيرٌ منهم يتبعون اليهود والنصارىٰ في كل ما يفعلون، حتىٰ أن بعضهم قد يتشبه بهم في عباداتهم وطاعتهم، وهذا أخطر من التَّشَبُّه بهم في

أعمالهم؛ فالتَّشَبُّه باليهود والنصارىٰ والمشركين حرامٌ وإن كان في الأمور الدنيوية، فكيف إذا كان في الطاعات والعبادات؟! فهذا أعظم وأشد.

فمَنْ تَشَبَّه بقومٍ فهو منهم، قال ابن تيمية رحمه الله: (وظاهر هذا الحديث: أنه يكفر بذلك، وأقل أحواله: التحريم).

فيحرم على المسلم أن يَتَشَبّه بهم، لا في لباسهم ولا في قَصَّاتهم، ولا في حركاتهم وسَكَناتهم؛ لأن الناس اليوم افتُتِنوا بالكفار فتنة عظيمة، انظروا إلىٰ الشباب، إلىٰ النساء، كيف تشبهوا بالكفار!

والتَّشَبُه بهم يُفضي إلى محبتهم، وقد يتسلل ذلك -يعني تتسلل هذه المحبة- إلىٰ الانتقال إلىٰ دينهم! ولا تَعْجب؛ فإن كثيرًا من الناس ممَنْ أُعجبوا بثقافة الغرب ارتدوا.

والآن وسائل التواصل أظهرت لنا كثيرًا من هذه الشكليات التي اغترت بما عليه أهل الكفر من التقدم والحضارة -كما يزعمون- فتَشَبّهوا بهم حتىٰ انسلخوا من دينهم، نسأل الله السلامة والعافية.

فإذًا الواجب: بُغضهم، وكُرههم؛ هذا هو الواجب علينا، لا كما يقول اليوم كثيرٌ من الناس: نَبْذ الكراهية! إذا نَبذت الكراهية نبذت الدين، نَبْذ الكراهية نَبْذٌ للدين.

الله عز وجل ينهانا عن اتخاذهم أولياء، وعن مودتهم وعن محبتهم، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] وهي المحبة ﴿مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

والآن يخرج لنا بعض الناس يقول: ننبذ الكراهية؛ ننبذ الكراهية بين المسلمين نعم، لكن ننبذ الكراهية بيننا وبين الكفار لا، هذا نَبْذٌ للدين ورَدٌّ علىٰ الله وعلىٰ رسوله ﷺ.

فأوثق عُرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله.

فنهانا الله عز وجل عن محبة الكافرين وأَمَرنا ببُغضهم.

ولذلك إبراهيم الخليل إمام الأنبياء وأبو الحنفاء قال لقومه -ومنهم: والده-: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]. الشاهد من الآية: أن إبراهيم عليه السلام قال: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] قالها لقومه، ومنهم: والده.

فهذا يدل علىٰ وجوب بُغض الكافرين وعدم اتخاذهم أولياء؛ لأن الذي يحبهم أولًا وَقَع في كبيرةٍ من كبائر الذنوب، وأيضًا قد يتسلل ذلك بأن ينتقل إلىٰ دينهم -نسأل الله السلامة والعافية-.

فلذلك قال المصنف هنا حفظه الله: أننا خالفناهم في الصيام: "قَطْع الطُّرق الْمُفضية إلىٰ محبتهم والميل إليهم، وتحقيق معنىٰ البراءة منهم، وبُغْضِهم في الله تعالىٰ، وفيه أيضًا استقلال المسلمين وَتَمَيُّزهم" عن الكافرين.

"**وقد ذَكَر أهل العلم أن أفضل المراتب في صيام عاشوراء**: صوم ثلاثة أيام (التاسع، والعاشر، والحادي عشر).

واستدلوا بحديث ابن عباس: «خَالِفُوْا الْيَهُوْد وَصُوْمُوا قَبْلَه يَوْمًا وَبَعْده يَوْمًا».

وهذا حديثٌ ضعيفٌ، لا يُعَوَّل عليه، إلا أن يقال: إِنَّ صيام الثلاثة يأتي فَضْلها زيادةً علىٰ فَضْل عاشوراء؛ لِكَوْنها من شهرٍ حرام وَرَدَ الحَثُّ علىٰ صيامه، وَلْيَحْصل فَضْل صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وقد وَرَدَ عن الإمام أحمد أنه قال: (مَنْ أراد أن يصوم عاشوراء صام التاسع والعاشر، إِلَّا أن تُشْكِل الشهور فيصوم ثلاثة أيام، ابن سيرين يقول ذلك).

والمرتبة الثانية: صوم التاسع والعاشر؛ وعليها أكثر الأحاديث، وَتَقَدَّمت.

والمرتبة الثالثة: صَوْم التاسع والعاشر، أو العاشر والحادي عشر، واستدلوا بحديث ابن عباس مَرفوعًا بلفظ: «صُومُوا يَوْم عَاشُوْرَاء، وَخَالِفُوا فِيه الْيَهود، صُوْمُوا قَبْله يَوْمًا، أَوْ بَعْده يَوْمًا» وهو حديث ضعيف.

والمرتبة الرابعة: إفراد العاشر بالصوم؛ فَمِنْ أهل العلم مَنْ كَرِهَه؛ لأنه تَشَبُّهٌ بأهل الكتاب، وهو قول ابن عباس علىٰ ما هو مشهورٌ عنه، وهو مذهب الإمام أحمد، وبعض الحنفية، وقال آخرون: لا يُكْرَه؛ لأنه من الأيام الفاضلة فيُسْتَحَبُّ إدراك فضيلتها بالصوم.

والأظهر: أَنَّه مَكْروهٌ في حَقِّ مَنْ استطاع أن يجمع معه غيره، ولا يَنْفي ذلك حصول الأجر لِمَنْ صامه وحده، بل هو مُثَابٌ إن شاء الله تعالىٰ.

اللهم وفقنا لما يرضيك، وَجَنِّبْنا معاصيك، واجعلنا من عبادك الصالحين وَحِزْبك الْمُفلحين، وَاعْفُ عنا وتُب علينا، واغفر لنا ولوالدينا، وصلّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد".

هذه آخر مسألة في هذه الرسالة، وهي مراتب صيام يوم عاشوراء.

ذَكَر أهل العلم: أن مراتب صيام يوم عاشوراء أربعة:

فالمرتبة الأولى: أن تصوم ثلاثة أيام: التاسع والعاشر والحادي عشر.

"واستدلوا بحديث ابن عباس": أن النبي ﷺ قال: "«خَالِفُوْا الْيَهُوْد وَصُوْمُوا قَبْلَه يَوْمًا وَبَعْده يَوْمًا»"؛ وهذا الحديث ضعيف، لا يصح عن النبي ﷺ؛ لأن في سنده مَنْ هو سيء الحفظ وهو محمد بن أبي ليلىٰ.

وحَسَّنه بعض أهل العلم، قالوا: لأن محمد بن أبي ليلىٰ وإن كان ضعيفًا فقد تُوبِع، فحَسَّنه بعض أهل العلم وعَملوا به.

ولكن الصحيح: أن هذا الحديث حديثٌ ضعيف، لا يُعَوَّل عليه؛ وهو صوم يوم قبله ويوم بعده؛ لأنه ضعيف من حيث السند، وأيضًا فيه اضطرابٌ في متنه.

ففي رواية: «صُوْموا يَوْمًا قبله أو يَوْمًا بعده»، وفي رواية في هذا الحديث: «صُوْموا يومًا بعده، ويومًا قبله»؛ يعني الحديث الأول بالتخيير، وفي الرواية الأخرىٰ: الجمع بين الثلاثة «صُوْموا يومًا بعده، ويومًا قبله».

فهذا الحديث في إسناده إشكال، وفي مَتنه إشكال؛ فلا يُعَوَّل عليه.

فلذلك بعض أهل العلم ذَكَر أن المرتبة الأولى: ليست صيام ثلاثة أيام، وإنما المرتبة الأولىٰ: صيام التاسع والعاشر؛ لأن هذا الذي ثبت عن النبي ﷺ، وعليه أكثر الأحاديث.

قال: "«لَئِنْ بَقِيْتُ إِلَىٰ قَابِل لَأَصُوْمَنَّ التَّاسِع»": يعني مع العاشر.

وهذا هو الصواب: أن المرتبة الأولىٰ: صيام التاسع مع العاشر.

لكن نذكر المراتب التي ذكرها أهل العلم، قالوا: المرتبة الأولىٰ –وذكره عن ابن القيم وغيره أهل العلم–:

أن المرتبة الأولى: صيام ثلاثة أيام.

المرتبة الثانية: صيام التاسع مع العاشر.

المرتبة الثالثة: صيام العاشر مع الحادي عشر.

المرتبة الرابعة: إفراده بالصيام.

وإفراد يوم عاشوراء بالصيام: قال بعضهم: أنه مكروه؛ لأن النبي ﷺ قال: "«لَئِنْ بَقِيْتُ إِلَىٰ قَابِل لَأَصُوْمَنَّ التَّاسِع»" يعني مخالفة لليهود.

فقالوا: إذا لم نَصُم يومًا قبله ويومًا بعده وقعنا في المشابهة؛ فقالوا: يُكره أن نصومه.

والصحيح: أنه لا يُكره.

والمصنف: ذَكر القولين، وذَكَر أنه مكروه، ولكن الصحيح: أنه لا يُكره.

لماذا (لا يُكره)؟

لأن المخالفة بصيام يوم عاشوراء واقعة أصلًا، كما ذكرنا أن من مخالفة اليهود في صيام يوم عاشوراء: أننا لم نتخذه عيدًا كما اتخذوه هُم؛ فهذه مخالفة أولىٰ.

أيضًا أن الفضل جاء علىٰ صيامه هو، فقال النبي ﷺ: «صِيَام يَوْم عاشوراء يُكَفِّر سَنَةً ماضية»؛ فلا يكون عبادةً وهو مكروه.

فهذا يدل على أن إفراده بالصيام ليس مكروهًا؛ لأنه عبادة عليها فضلٌ عظيم؛ فلا يكون مكروهًا، وإنما يقال: زيادة المخالفة زيادة أَجْر.

زيادة المخالفة -يعني بصيام يوم قبله أو يوم بعده، أو صيام ثلاثة أيام- نقول: هذه زيادة مخالفة لليهود ففيها زيادة أَجْر.

فإذًا المراتب على الصحيح: في صيام يوم عاشوراء:

المرتبة الأولى: صيام التاسع مع العاشر؛ لأنه أكثر الأحاديث التي جاءت عن النبي ﷺ.

وإن صام الإنسان الثلاثة الأيام مع بعض فهذا لا إشكال فيه.

المرتبة الثانية: أن يصوم العاشر مع الحادي عشر.

المرتبة الثالثة: أن يصوم يوم عاشوراء وحده؛ وهذا هو الصحيح في الترتيب، وإن كان المسألة كما ذَكَر بعض أهل العلم يرىٰ أن المرتبة الأولىٰ: صيام الثلاثة الأيام كلها مجتمعة.

وقد ذَكَر الإمام أحمد رحمه الله: (أنه إذا أشكلت الشهور) يعني غُمَّ علينا ما رأينا هلال مُحَرَّم، فيحتمل أن الهلال طلع ولم نره.

(فإننا نصوم ثلاثة أيام من باب الاحتياط؛ حتىٰ يكون جَزْمًا أننا صُمنا يوم عاشوراء.

وقال: (هذا مروي عن ابن سيرين) وابن سيرين من فقهاء التابعين.

فنقول: الأمر في هذا واسع، والفضل يقع بصيام يوم عاشوراء؛ فلا يُفَرِّط المرء في هذه الساعات والدقائق واللحظات التي فيها الأجر العظيم وتكفير سنة كاملة من الذنوب والمعاصي بسبب اتّباع هَوَىٰ الدنيا ومتاعها.

فلحظات يسيرة لا يُفَرِّط فيها المرء.

والإنسان في هذا الشهر يُكثِر من الصيام؛ لأن أفضل الصيام بعد رمضان: صيام هذا الشهر المبارك الفضيل؛ فيُكثِر فيه الإنسان من الصيام ما استطاع، ويُخَصِّص يوم عاشوراء تخصيصًا لأن الفضل وَرَد فيه.

فنسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لطاعته، وأن يوفقنا لمرضاته، وأن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه، وأن يجعل خير أيامنا يوم نلقاه.

والله أعلم وأحكم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.